

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد: فإن اصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فهذه مذكرة لطيفة كنت قد أعددتها لنفسي لأستعين بها على مذاكرة مادة العقيدة في معهد الدعاة، وقد أخرجتها على عجلة لقرب وقت الامتحانات، ولأقربها إلى إخواني ليستفيدوا منها.

ذلك وإن عملي هذا ليس معصوماً من الزلل ولا من مُقَارَفَةِ الْخَطَلِ؛ فلستُ أدَّعي العصمة، أو الإتيان بما لم يأت به الأوائل؛ فكم ترك السالف للخالف، ولكنه جُهد المقل: «فَإِنْ يَكُ صَوَاباً فَمِنْ اللَّهِ وَإِنْ يَكُ خَطَأً فَمِنْ نَفْسِي [وَمِنْ الشَّيْطَانِ] وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»^(١).

والله أسأل أن يتقبله مني، وأن يجعله زاداً لحسن المصير إليه، وعتاداً لِيُمنَ القدوم عليه، إنه بِكُلِّ جَمِيلٍ كَفِيلٌ، وهو حَسْبِي ونِعْمَ الْوَكِيلُ.

وكتبه

أبورية الذهبية

عامله الله بلطفه الخفي

(١) (أثر صحيح): جزء من أثر لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه؛ أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣٢ / ٢٠) والبيهقي في «الكبرى» (٢٤٦ / ٧)، والخطيب في «موضح الأوهام» (١٦٢ / ١) وابن عساكر في «تاريخه» (٣٢٧ / ٣٠) والمحامي في «أماله» (٣٣٣ / ١)، والزيادة ما بين المعقوف للبيهقي، و(إسناده صحيح) إلى ابن مسعود رضي الله عنه والله أعلم.

(أهل السنة يؤمنون بأسماء الله الحسنى وصفاته العلى)

- اشرح هذه العبارة

- مستدلاً ومبيناً أهم قواعد الأسماء والصفات

- مع شرح الصفات وأنواعها وكيف نؤمن بها

◀ شرح العبارة ▶▶

◀ أهم قواعد الأسماء الحسنى ▶▶

١- لله تعالى أسماء حسنى أثبتها لنفسه في كتابه وفي سنة نبيه ﷺ :

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾، وقال: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»

٢- أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها :

فلا يجوز اختراع اسم له سبحانه؛ ليس له أصل في الكتاب أو السنة، والتوقيف قد أطلقه أقوام؛ فمنعوا إطلاق كل اسم لم يرد به النص تصريحاً، وقيده بعض العلماء -كالغزالي وابن تيمية وابن القيم- فيما ورد به نص تصريحاً بالاسم أو بالصفة؛ فيشتق منها الاسم بشرطين:

[١] أن يكون الاسم المشتق علماً على الذات؛ يدل عليها دلالة قاطعة؛ فإذا أطلق لا يفهم منه سوى الله،

[٢] أن يكون متضمناً لصفة جلال وكمال مطلق؛ فلا توهم نقصاً في حقه سبحانه.

والراجع عندي عدم جواز الاشتقاق (مطلقاً) للآتي:

• أن دورنا حيال أسماء الله؛ إنما هو الإحصاء لا الاشتقاق؛ فالدليل قائم على جواز الإحصاء، ولا دليل على جواز الاشتقاق.

• أنه لا يقبل أحدنا أن يسمى بغير ما سماه به والده؛ فنقول مثلاً لرجل كريم يدعى إبراهيم: يا كريم (تسمية له)؛ فهو لن يقبل هذا؛ حتى لو توفرت فيه كل صفات الكرم. فكيف بنا نرضى لله ما لا نرضاه لأنفسنا. ثم من حولنا هذه السلطة أصلاً؛ يعني بأن نسمي الله تعالى.

• أن الشروط التي وضعها من جواز الاشتقاق؛ لا تنضبط بضابط؛ فقد يختلف على كون الاسم يوهم نقصاً أو لا... إلخ؛ فيعتبره البعض اسماً لله، ولا يراه البعض كذلك!.

• وهناك استدلالات أخرى لم أنشط لذكرها.

٣- أسماء الله تعالى غير محصورة في تسعة وتسعين:

ظن بعض العلماء -كابن حزم وغيره- أن أسماء الله تعالى محصورة بدليل ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وقد أخطأوا بظنهم هذا؛ ويدل على ذلك ما أخرجه أحمد وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ

اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَيْعَ قَلْبِي وَثُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا» (١).
والشاهد من الحديث قوله ﷺ: «سَمَّيْتُ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتُهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».

ولا تنافي بين هذا الحديث وبين حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ ذلك أن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ليس فيه حصر لأسماء الله في تسع وتسعين اسمًا كما توهم البعض؛ وإلا لقال ﷺ: «إِنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ اسْمًا»، ولكن غاية ما فيه أن لله تسعة وتسعين اسمًا من أسماءه مخصوصة بهذا الأجر؛ وهو أن من أحصاها؛ دخل الجنة.

٤- أسماء الله حق على حقيقتها (مطابقة) و(تضمنًا) و(التزامًا) :

فدلالة أسماء الله الحسنى على ثلاثة أنواع: دلالتها على الذات مطابقة، ودلالتها على الصفات المشتقة منها تضمنًا، ودلالتها على الصفات التي ما اشتقت منها التزامًا. فيجب أن تجتمع هذه الدلالات في كل اسم؛ فلا يصح أن يدل الاسم على الذات فقط؛ لأنه بذلك يكون مجرد إعلام للتعريف شأنه شأن سائر أسماء المخلوقين؛ فأسماء الله يجب أن تكون صفات له. فاسمه تعالى الرحمن الرحيم -مثلاً- يدل على ذات المسمى؛ وهو الله عز وجل مطابقة، ويدل على الصفة المشتقة منها وهي الرحمة تضمنًا، ويدل على غيرها من الصفات التي لم تشتق منها كالحياة والقدرة التزامًا؛ فمن يرحم لا بد أن يكون حيًا قادرًا. وهكذا القول يكون في سائر أسمائه.

١ صحيح: أخرجه أحمد، وابن أبي شيبة، والحاثر، وأبو يعلى، وابن أبي الدنيا، وابن حبان، والحاكم وصححه؛ من طريق أبي سلمة موسى بن عبد الله الجهني، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا به. وصححه الألباني، وله بحث ماتع فيه أورده في «الصحيحة» (٣٨٣/١) ح (١٩٩)؛ فليُنظر.

وذلك بخلاف المخلوق ، فقد يسمى حكيما وهو جاهل، وحكما وهو ظالم، وعزيزا وهو ذليل، وشريفا وهو وضع، وكريما وهو لئيم، وصالحا وهو طالح، وسعيدا وهو شقي، وأسداً وحظلة وعلقمة وليس كذلك!. ف سبحانه الله وبحمده هو كما وصف نفسه، وفوق ما يصفه به خلقه.

٥- أسماء الله تعالى كلها أعلام وأوصاف:

فهي أعلام باعتبار دلالة الأسماء على الذات، وهي مترادفة بهذا الاعتبار؛ فالله تبارك وتعالى هو الرحمن، وهو العليم، وهو السميع، وهو البصير... إلخ؛ فكل هذه الأسماء تدل على ذات واحدة؛ وهي ذات الله.

وهي أوصاف باعتبار دلالة الأسماء على المعاني أو الصفات؛ فكل اسم يختلف عن الآخر باختلاف ما تضمنه من صفة؛ فالرحمن يدل على وصفه سبحانه بالرحمة، والعزيز يدل على وصفه بالعزة، والحكيم يدل على وصفه بالحكمة... إلخ. فمعاني هذه الصفات تختلف عن بعضها؛ فالرحمة غير العزة غير الحكمة. ومن هنا كانت أسماء الله (مترادفة) باعتبار دلالتها على الذات، و(متباينة) باعتبار دلالتها على الصفات.

٦- أسماء الله عز وجل أزلية غير مخلوقة:

فهي بذلك عكس أسماء المخلوقين؛ فهي محدثة مخلوقة، والذي دعانا لهذا القول أن بعض الفرق -كالمعتزلة- تزعم أن أسماء الله تبارك وتعالى مخلوقة!. فأسماء الله هي تحقيق صفاته؛ فأسماءه كلها أوصاف بخلاف المخلوقين، ومما يدل على خطأ ذلك المذهب: توبيخ الله تعالى للمشركين في تسميتهم آلهتهم؛ فقال: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾؛ فإذا كانت أسماءه تبارك وتعالى مخلوقة؛ فعلام يوجبهم إذا؟!.. ومما يدل على خطأهم أيضاً قوله ﷺ -كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه-: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ

سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ»؛ قال ابن القيم في «شفاء العليل»: «وقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولو كانت مخلوقة لم يسأله بها فإن الله لا يقسم عليه بشيء من خلقه» اهـ.

٧- الإيمان بأسماءه الحسنى يقتضي الدعاء بها ، وعدم الإلحاد فيها :

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. والإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب فيها؛ وهو أنواع:

- إلحاد النفاة: وهم الذين نفوا أن لله أسماءً أصلاً، أو أثبتوها أعلاماً بلا أوصاف كالمعتزلة حيث قالوا: سميع بلا سمع!، وبصير بلا بصر!.
- إلحاد المشبهة: وهم الذين أثبتوا الأسماء والصفات التي اشتقت منها؛ لكنهم جعلوها كصفات المخلوقين، ومماثلة لهم.
- إلحاد المشركين: وهم الذين أطلقوا أسماء الله على أوثانهم؛ بعدما زادوا فيها ونقصوا منها؛ كما قالوا: «اللات» مشتقة من «الله»، و«العزّة» من «العزیز»، و«مناة» من «المنان».

◀ أهم قواعد الصفات العلى ▶▶

١- صفات الله تبارك وتعالى كلها صفات كمال

٢- صفات الله توقيفية لا مجال للعقل فيها :

أسماء الله وصفاته توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزداد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات فوجب الوقوف على النص .

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾. وقد كان أئمة الإسلام على هذا المنهج . قال الإمام أحمد رحمته الله: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث» اهـ. وقرر بعض أهل العلم أن العلم بالشيء حتى يمكن وصفه له ثلاثة طرق : إما رؤيته ، أو رؤية مثيله ، أو وصفه ممن يعرفه . وعلمنا ربنا وأسمائه وصفاته محصور في الطريق الثالث وهو وصفه ممن يعرفه وليس أحد أعلم بالله من الله ثم رسله الذين أوحى إليهم وعلمهم فوجب لزوم طريق الوحي في أسماء الله وصفاته إذ لم نر ربنا في الدنيا فنصفه وليس له مثل من خلقه فيوصف بوصفه ، تعالى ربنا وتقدس .

٣- القول في الصفات كالقول في الذات :

ذلك الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا صفاته ، ولا أفعاله . فإذا كان لله ذات حقيقية لا تماثل الذوات بلا خلاف ف كذلك الصفات الثابتة له في الكتاب والسنة ، هي صفات حقيقية لا تماثل سائر الصفات فالقول في الذات والصفات من باب واحد . وهذه قاعدة عظيمة يناقش بها من ينكر الصفات مع إثباته الذات فإن إثبات الذات للرب عز وجل محل إجماع الأمة . فإذا قال قائل : لا أثبت الصفات لأن في إثباتها تشبيهاً لله بخلقه ؛ يقال له : أنت تثبت لله ذاتاً حقيقية وتثبت للمخلوقين ذواتاً أفليس هذا تشبيهاً على قولك؟! فإن قال : إنما أثبت ذاتاً لله لا تشبه الذوات ولا يسعه غير هذا . قيل له يلزمك هذا في باب الصفات فإن كانت الذات لا تشبه الذوات -وهو حق- ؛ ف كذلك صفات الذات الإلهية لا تشبه الصفات . فإن قال : كيف أثبت صفة لا أعلم كيفيتها ؛ قلنا : له كما تثبت ذاتاً لا تعلم كيفيتها .

٤- القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر:

ذلك أن القول في بعض صفات الله من حيث الإثبات والنفي كالقول في البعض الآخر وهذه القاعدة يخاطب بها من يثبت بعض الصفات وينكر البعض الآخر. فإذا كان الرجل يثبت بعض الصفات؛ كالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها ويجعل ذلك كله حقيقة، ثم ينازع في صفة المحبة والرضا والغضب وغيرها، ويجعل ذلك مجازاً؛ فيقال له: لا فرق بين ما أثبتته وبين ما نفيتة فالقول في أحدهما كالقول في الآخر. فإن كنت تثبت له حياة وعلماً وقدرة وسمعاً وبصراً لا تشبه ما يثبت للمخلوقين الذين يتصفون بهذه الصفات فكذلك يلزمك أن تثبت له محبة ورضاً وغضباً كما أخبر هو عن نفسه من غير مشابهة للمخلوقين وإلا وقعت في التناقض.

٥- منهج أهل السنة هي أنهم يثبتون لله أسماء وصفاته من غير (تحريف) ولا

(تعطيل)، ومن غير (تكييف) ولا (تمثيل)؛

من غير تحريف^(١):

فالتحريف هو التغير والتبديل والإمالة، والمقصود إثبات أسماء الله وصفاته -الواردة في الكتاب والسنة- من غير إخراجها عن حقيقتها لفظاً أو معناً مع بقاء صورة اللفظ. فالتحريف في اللفظ كتحرif الجهمية ﴿وكلم الله! موسى تكليماً﴾ من رفع لفظ الجلالة إلى نصبه! ورده ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه

١ لم يقل أهل السنة بغير تأويل؛ للأسباب الآتية:

أولاً:- أن هذا هو اللفظ القرآني الذي عبر به الله في كتابه عن تغيير الكلام؛ فقال: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

ثانياً:- أن كلمة تحريف أدق من تعبيراً من كلمة تأويل؛ لأن التأويل يكون بدليل، أما تغيير الشيء عن حقيقته وصفته بغير دليل؛ فهو تحريف؛ فكانت كلمة تحريف أقرب للعدل في وصفهم بها.

ثالثاً:- أن التأويل كلمة تحتل معاني؛ فليس كل التأويل مذموماً؛ فاستخدامها فيه استمالة للسامع؛ فكان التعبير بكلمة التحريف أولى لتنفير السامعين عما أحدثوه.

ربه ﴿. والتحرير في المعنى: كقول المعطلة ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ أي استولى، وكقولهم معنى اليد في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أنها القدرة أو النعمة... إلخ. وكلا الفريقين -محرفوا اللفظ والمعنى- أشر من بعضهما؛ فمحرف اللفظ: أفسد اللفظ؛ فعدل باللفظ والمعنى جميعاً. ومحرف المعنى: أثبت اللفظ وأفسد المعنى؛ إلا أن فعله يعد الأكثر استعمالاً عند أصحاب التحريف، كما أنه الأسهل رواجاً عند العوام والجهلة من الناس؛ فيفتتن به الخلق الكثير.

ومن غير تعطيل:

فالتعطيل هو الخلو والفراغ والتخلية؛ كما قال تعالى: ﴿وَبَرِّ مُعَظَّلَةٍ﴾ أي مهملة، والتعطيل أقسام [١] تعطيل الخلق عن خالقها، ويتمثل في قول الملاحدة والدهرية منكري وجود الله، [٢] وتعطيل عبادة الله، ويتمثل في أهل الشرك الذين يصرفون العبادة لغير الله، [٣] وتعطيل الله عن كماله؛ بتعطيل أسمائه وصفاته، فالتعطيل هو نفي صفات الله وأسمائه بإنكار أنها تقوم بذاته. وقد أطلق أهل العلم على المحرفة والمعطلة لفظ «المعطلة»^(١).

ومن غير تكييف:

فالتكييف هو جعل الشيء على حقيقة معينة بتقييده بيمائل، والمقصود بغير تكييف أي أنهم يؤمنون بما أخبر الله عن نفسه مع نفي علمهم بالكيفية؛ فالكيفية لا تدرك إلا بالمشاهدة أو بمشاهدة النظر، أو بالإخبار عن الكيفية؛ وثلاثتها ليست متاحة؛ فوجب الإيمان بالخبر دون تكييف. وقد أخذ العلماء هذا القيد من قول الغمام مالك وشيخه ربيعة؛ حيث قالوا لما سئلا عن كيفية الاستواء: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

١ والفرق بين التحريف والتعطيل؛ أن التحريف يكون في الدليل بصرفه عن ظاهره بغير دليل، والتعطيل يكون في المدلول بإنكاره.

ومن غير تمثيل:

فالتمثيل هو ذكر المماثل للشيء، والمقصود بغير تمثيل: أي باعتقاد أن صفات الله لا تشابه، أو ليست مثل صفات المخلوقين. فالتمثيل في حقه سبحانه ممتنع للآتي:

١- التباين في أصل الوجود؛ فالله أزلي واجب الوجود، والمخلوق محدث ممكن الوجود.

٢- التباين في الصفات والافعال؛ فصفات الله أزلية كمالية مطلقة بقدرته، وصفات المخلوق محدثة ضعيفة محدودة بقدرته.

٣- تباين الله بذاته عن خلقه؛ فإذا كان التباين موجود بين المخلوقات في نفس الصفات؛ فهو في حق الخالق أولى.

◀ أقسام الصفات ▶▶

تنوعت تقسيمات أهل السنة للصفات وذلك بحسب الاعتبار التي يرجع لها كل تقسيم، ومن تلك التقسيمات ما يلي:

◀ فتتقسم الصفات عموماً -كما يقول شيخ الإسلام- إلى قسمين:

أولاً: صفات نقص: فهذه يجب تنزيه الله عنها مطلقاً؛ كالموت، والعجز، والجهل.

ثانياً: صفات كمال: فهذه يمتنع أن يماثله فيها شيء سبحانه؛ فكل صفاته سبحانه من هذا القسم -صفات كمال-..

◀ وتنقسم الصفات من حيث أدلة ثبوتها إلى قسمين:

أولاً: الصفات الشرعية العقلية:

هي التي يشترك في إثباتها الدليل الشرعي السمعي والدليل العقلي، والفطرة السليمة. وهي أكثر صفات الرب تعالى، بل أغلب الصفات الثبوتية يشترك فيها الدليلان السمعي والعقلي؛ وإن كان الأصل في ثبوتها الدليل الشرعي. ومنها: العلم، السمع، البصر، العلو، القدرة، الإرادة، الخلق، الحياة. وسميت «شرعية عقلية»؛ (شرعية): لأن الشرع دل عليها أو أرشد إليها، و(عقلية): لأنها تعلم صحتها بالعقل ولا يقال إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر. فإذا أخبر الله بالشيء، ودل عليه بالدلالات العقلية صار مدلولاً عليه بخبره، ومدلولاً عليه بدليل العقل الذي يعلم به، فيصير ثابتاً بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى الدلالة الشرعية.

ثانياً: الصفات الخبرية أو النقلية أو السمعية:

وهي التي لا سبيل إلى إثباتها إلا بطريق السمع والخبر عن الله أو عن رسوله الأمين عليه الصلاة والتسليم.

◀ وتنقسم الصفات باعتبار ورودها في النصوص الشرعية إلى قسمين:

أولاً: صفات منفية (=سلبية):

وهي ما نفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ. والصفات المنفية كلها صفات نقص في حقه. ومن أمثلتها: النوم - الموت - الجهل - النسيان - العجز - التعب - الظلم. * ومما ينبغي أن يعلم: أن المقصود بنفي الله بعض الصفات عن نفسه؛ إنما هو إثبات كمال ضد ما نفاه؛ فإنه متضمن للمدح والثناء على الله بضع ذلك النقص من الأوصاف الحميدة والأفعال الرشيدة.

* وليس مقصود الله بنفيه بعض الصفات عن نفسه مجرد النفي؛ فإن النفي المجرد للصفة ليس فيه مدح ولا كمال؛ بل فيه إشعار بالعجز وعدم القدرة؛ كما قال الشاعر يهجو قبيلة أحدهم، ويعيره بعجزهم، وعدم قدرتهم على شيء:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

* فالمقصود أن الصفات السلبية إنما تكون كمالاً إذا تضمنت أموراً ثبوتية وجودية لله تعالى؛ فلا يوصف الرب من الأمور السلبية إلا بما يتضمن أموراً وجودية، وإلا فالعدم المحض لا كمال فيه إلا إذا تضمن إثباتاً؛ فالعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً وكمالاً. لأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع؛ والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال.

* ولهذا كان عامة ما يصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات مدح:

- كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام.

- وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَأْخُذُهُ حِفْظُهُمَا﴾؛ أي: لا يكرثه ولا يثقله، وذلك مستلزم لكمال قدرته وتامها؛ بخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة، فإن هذا نقص في قدرته وعيب في قوته.

- وكذلك قوله: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض.

- وكذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ ٤ فإن نفي مس اللغوب -الذي هو التعب والإعياء- دل على كمال قدرته ونهاية القوة بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التعب والكلال ما يلحقه.

- وكذلك قوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾؛ إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحاً، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رؤي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علماً، فكذلك إذا رؤي لا يحاط به رؤية، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمتة ما يكون مدحاً وصفة كمال، وكان ذلك دليلاً على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها.

* وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف به نفسه.

* ثم إن النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب مع الله سبحانه، فإنك لو قلت لسلطان: أنت لست بزبال ولا كسّاح ولا حجام ولا حائك لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً. وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيّتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإن أجملت في النفي أجملت في الأدب.

* ولذلك فإن الرسل -عليهم صلوات الله- جاءوا بإثبات مفصل ونفي مجمل؛ فإنهم أخبروا بما أخبر الله في كتبه التي بعثهم بها أنه: (بكل شيء عليم)، (وعلى كل شيء قدير)، وأنه (حكيم عزيز)، (غفور ودود)، وأنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وأنه كلم موسى تكليماً، وتجلّى للجبل فجعله دكاً، وأنه أنزل على عبده الكتاب، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته. وقالوا في النفي كما قال ربهم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

* أما المعطلة ناقضوهم فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل؛ فقالوا: ليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، ولا له كلام يقوم به، ولا له حياة،

ولا علم، ولا قدرة، ولا غير ذلك، ولا يشار إليه ولا يتعين، ولا هو مباين للعالم ولا حال فيه، ولا داخله، ولا خارجه، إلى أمثال العبارات السلبية الكثيرة التي لا تنطبق إلا على المعدوم، والتي تمجها الأسماع وتأنف من ذكرها النفوس والتي تتنافى مع تقدير الله تعالى حق قدره. ثم قالوا في الإثبات هو وجود مطلق، أو وجود مقيد بالأمور السلبية. وبذلك عكسوا منهج القرآن والسنة، فأكثروا من وصف الله تعالى بالأمور السلبية التي لم يرد بها النص، وأفرطوا في ذلك إفراطاً عجيباً، بينما أنكر بعضهم جميع الصفات الثبوتية، والبعض الآخر لم يثبت سوى القليل منها.

* ولهذا كانت الصفات السلبية التي ورد بها النص متضمنة لثبوت كمال الضد كما تقدم شرح ذلك. وأما الصفات السلبية التي هي من نسج المعطلة واختراعهم فلا تتضمن ثبوت كمال الضد. فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلهاً محموداً، بل ولا موجوداً. إذ هذه الصفات التي سلبوها يمكن أن يوصف بها المعدوم، وليست صفات مستلزمة صفات ثبوت؛ فقولهم إنه لا يتكلم، أو لا ينزل، ليس في ذلك صفة مدح، بل هذه الصفات فيها تشبيه له بالمنقوصات أو لمعدومات.

* فالمقصود أن الله تبارك وتعالى إذا نفى عن نفسه شيئاً كالظلم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾؛ فإن ذلك لا يعني عدم قدرته على الظلم؛ وإنما يعني إثبات كمال ضد ما نفاه؛ وهو عدله المطلق، مع إثبات كمال قدرته سبحانه وتعالى.

* ولذلك لا نجد الصفات السلبية تذكر غالباً في كتاب الله إلا في الأحوال التالية:
- الأولى: بيان عموم كماله: كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

- الثانية: نفي ما ادعاه في حقه الكاذبون: كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾.

- الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

والصفات السلبية نوعان:

١- سلب متصل:

وهو نفي كل ما يناقض صفة من صفات الكمال الذاتية التي وصف بها نفسه؛ كنفي الموت عن الله؛ لإثبات الحياة، أو نفي العجز المنافي لكمال القدرة، أو نفي الظلم المنافي لكمال العدل.

٢- سلب منفصل:

وهو تنزيه الله تعالى أن يشاركه أحد من خلقه في شيء من خصائصه التي لا تنبغي إلا له؛ كالألوهية والربوبية. وذلك كنفي الشريك له في ربوبيته، فإنه منفرد بتمام الملك والقوة والتدبير، وكنفي الشريك له في ألوهيته، فهو وحده الذي يجب أن يؤله الخلق ويفردوه بكل أنواع العبادة والتعظيم، وكذلك نفي الظهير الذي يظاهره أو يعاونه في خلق شيء أو تدبيره، لكمال قدرته وسعة علمه ونفوذ مشيئته، وغيره من المخلوقين عاجز فقير لا حول له ولا قوة إلا بالله، فالشريك والظهير منفيان عنه بإطلاق، وكذلك ينفي عنه سبحانه اتخاذ الصاحبة والولد الذي نسبه إليه النصارى واليهود. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّٰلِ﴾

ثانيًا: صفات ثبوتية:

وهي ما أثبتته الله تبارك وتعالى لنفسه في كتابه، وما أثبتته على لسان نبيه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى؛ إن هو إلا وحي يوحى. والصفات الثبوتية كثيرة جداً منها: العلم - والحياة - والعزة - والقدرة - والحكمة - والكبرياء - والقوة - والاستواء - والنزول - والمجيء، وغيرها.

* والصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية؛ بالإضافة إلى أن معرفة الله الأصل فيها صفات الإثبات، والسلب تابع ومقصوده تكميل الإثبات، فكل تنزيه مدح به الرب فيه إثبات لكمال ضده؛ كما سبق شرحه.

وتنقسم الصفات الثبوتية إلى أقسام بحسب الاعتبار التي يرجع لها كل تقسيم، ومن تلك التقسيمات ما يلي:

* تنقسم من حيث إطلاق الصفة وتقييدها إلى:

١ - صفات مطلقة:

وهي ما أطلقها الله واصفاً بها نفسه بغير تقييد؛ فيجوز أن يطلق وصف الله بها بصورة مطلقة أو مقيدة؛ كالغفور، والرحيم، واللطيف، ويجوز تقييدها فيقال كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾.

٢ - صفات مقيدة:

وهي ما قيدها الله تعالى واصفاً بها نفسه بقيد، وهي صفة كمال فيما قيدت به؛ كقوله تعالى: يخادعون الله وهو خادعهم؛ فلا يطلق وصف الله بها إلا بما قيدت به؛ فيقال الله مخادع تعالى الله عن ذلك.

* وتنقسم من جهة تعلقها بالله إلى قسمين:

١- صفات ذات. ٢- صفات فعل

وكلا النوعين يجتمعان في أنهما صفات له سبحانه وتعالى أزلاً وأبداً، لم يزل متصفاً بهما ماضياً ومستقبلاً لائقان بجلال رب العالمين.

١- صفات ذات:

وهي الصفات التي تتعلق بذات الله لا تنفك عنها؛ فهي قائمة بها، وملازمة لها. وتنقسم صفات الذات من جهة حقيقتها إلى:

- صفات ذاتية حقيقية: كالوجه - اليدين - العينين - الأصابع - القدم.
- صفات ذاتية معنوية: كالعلم - الحياة - القدرة - العزة - الحكمة.

٢- صفات أفعال:

وهي الصفات التي تتعلق بأفعال الله؛ فهي غير قائمة بذات الله حتى يفعلها؛ بمعنى أنها تخضع لمشيئة الله؛ فإذا شاء فعلها، وقامت بذاته، وإذا شاء لم يفعلها، ولم تقم بذاته. ومنها: الاستواء - المجيء - الإتيان - النزول - الخلق - الرزق - الإحسان - العدل.

* وتنقسم صفات الأفعال من جهة تعلقها بمتعلقها إلى قسمين - كما ذكر ابن القيم -:

١- متعدية:

وهي ما تعدت لمفعولها بلا حرف جرّ مثل: خلق، ورزق، وهدى، وأضل، ونحوها.

٢- لازمة:

وهي ما تعدى لمفعولها بحرف جرّ كالأستواء والمجيء والإتيان والنزول ونحوها.

وكلاهما مجموع في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.

* وتنقسم صفات الأفعال من جهة حقيقتها إلى:

١ - صفة فعل: كالاستواء، والاتيان، والمجيء، والنزول.

٢ - صفة قول: كالتكليم والنداء، والمناجاة، والقول.

٣ - صفة حال: كالفرح، والغضب، والرضا، والضحك

◀◀ كيف نؤمن بصفات الله تعالى ▶▶

جماع الإيمان بصفات الله تعالى يتركز على ثلاثة أسس؛ من جاء بها كلها فقد وافق الحق، وكان على الاعتقاد الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه والسلف الصالح، ومن أخل بواحد من تلك الأسس الثلاثة؛ فقد ضل وزل. وهذه الأسس الثلاثة قد دل عليها كتاب الله تبارك وتعالى؛ وهذه الأسس كالتالي:

أولاً: الإيمان بما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله × :

فإنه لا أحد يصف الله أعلم من بالله؛ كما قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، ولا أحد بعد الله يصف الله من رسوله ﷺ الذي قال الله في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾؛ فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله الله ﷺ

ثانياً: تنزيه الله عن أن يشبه بشيء من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين :

وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾. فيلزم كل مكلف أن ينزه ربه جل وعلا عن أن تشبه صفته صفة المخلوقين.

ثالثاً : قطع الطمع عن إدراك كيفية ذات الله عز وجل وصفاته :

لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل وهذا نصّ الله عليه في سورة (طه) حيث قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾. فقوله: ﴿يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ فعل مضارع والفعل الصناعي الذي يسمى بالفعل المضارع وفعل الأمر والفعل الماضي ينحل عند النحويين عن مصدر وزمن، وقد حرر علماء البلاغة في مبحث الإستعارة التبعية أنه ينحل عن مصدر وزمن ونسبة فالمصدر كامن في مفهومه إجماعاً فيحيطون في مفهومها (الإحاطة) فيتسلط النفي على المصدر الكامن في الفعل فيكون معه كالنكرة المبنية على الفتح فيصير المعنى لا إحاطة للعلم البشري برب السماوات والأرض فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كیفيتها فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن ربّ العالمين.

* فمن أخل بهذا الأصل الثالث؛ عاش حائراً في طلب المستحيل، الذي لا تدركه العقول. ومن أخل بأحد الأصلين الأولين؛ وقع في هوة ضلال:

- لأن من تنطع بين يدي رب السموات والأرض وتجراً على الله بهذه الجرأة العظيمة ونفى عن ربه وصفا أثبتته لنفسه فهذا مجنون فالله جل وعلا يثبت لنفسه صفات كمال وجلال فكيف يليق بمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض ويقول هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص وكذا وكذا؛ فأنا أوّوله!، وألغيه!، وآتي ببدله من تلقاء نفسي من غير استناد إلى كتابك أو سنة نبيك!!؛ ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.

- ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئاً من صفات الخلق فهذا مجنون جاهل ملحد ضال.

- ومن آمن بصفات ربه جل وعلا منزها ربه عن مشابهة صفاته لصفات الخلق فهو مؤمن منزّه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل.

* وهذا التحقيق هو مضمون قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾؛ فهذه الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويحيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع؛ ذلك لأن الله قال وهو السميع البصير بعد قوله ليس كمثله شيء ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثله شيء.

* فالله جل وعلا له صفات لا تقيده بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت لا شك فيه إلا أن صفة رب السماوات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين فمن نفى عن الله وصفا أثبتته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم بالله من الله ورسوله؛ سبحانه هذا بهتان عظيم.

* ومن ظن أن صفة ربه تشبه شيئا من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله تعالى عن المشركين ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين﴾.

تكلم عن :- (معتقد أهل السنة في الإيمان بالله)

إن توحيد الله عز وجل هو الركن الأعظم الذي من أجله أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب؛ فما من رسول إلا دعا قومه إليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾. وتوحيد الله عز وجل لا يصح حتى يتضمن أربعة أمور:

أولاً: الإيمان بوجود الله:

انظر المذكرة

ثانياً: الإيمان بتفرد سبحانه بالربوبية:

وهو توحيد الله سبحانه وتعالى بأفعاله. بمعنى:

١ - الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه خالق كل شيء؛ فلا خالق إلا الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾.

٢ - الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه مالك كل شيء؛ فكما أنه سبحانه متفرد بالخلق المطلق؛ فهو متفرد بالملك المطلق؛ فلا يتصور أن يكون هناك مالك لخلق غيره ﴿إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ حتى إنه تحداهم؛ فقال: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾.

٣- الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه يرجع إليه - (وحده) - الأمر كله في
تصريف وتدبير الكون من رزق وهداية وإحياء وإماتة؛ كما قال تعالى:
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يُشْرِكُونَ﴾.

وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى، كما
في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فهو الذي يُحيي ويميت، وهو الذي
يسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وهو الذي يرسل الرسل، ويشرع الشرائع،
ليُحق الحق بكلماته، ويُقيم العدل بين عباده شرعاً وقدرًا إلى غير ذلك مما لا
يُحصيه العد، ولا تُحيط به العبارة.

- فلا خالق إلا الله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

- ولا رازق إلا الله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

- ولا مدبر إلا الله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾.

- ولا محيي ولا مميت إلا الله ﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

وهذا النوع قد أقر به غالب الكفار في زمن النبي ﷺ، ولكنه لم يدخلهم في
الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
اللَّهُ﴾.

ثالثًا: الإيمان بتفرد سبحانه بالإلهية: (١)

وهو توحيد الله بأفعال العباد التي أمرهم بها؛ بمعنى: الاعتقاد الجازم بأن الله
سبحانه وتعالى هو الإله الحق المستحق للعبادة، ولا إله غيره يستحق ذلك؛
فكل معبود سواه باطل؛ فتصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له،
ولا يُصرف شيء من العبادة لغيره.

١ وهو ما يسمى بـ (= توحيد العبادة)، (= توحيد الإرادة والقصد)، (= توحيد الطلب).

فلا تُصَرَفِ العبادة إِلَّا إليه؛ كما قال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾.
- ولا نصلي ولا نذبح إِلَّا له؛ كما قال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

- ولا ندعو إِلَّاه؛ كما قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.
- ولا نخاف إِلَّاه؛ كما قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ولا نتوكل إِلَّا عليه؛ كما قال: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.
- ولا نستعين إِلَّا به؛ كما قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.
- ولا نستعيز إِلَّا به؛ كما قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

وهذا النوع من التوحيد هو الغاية التي أرسل الله تعالى من أجلها الرسل، وأنزل الكتب؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي أنكره الكفار قديما وحديثا، كما قال تعالى على لسانهم: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾.

وهذا التوحيد هو أصل الخلاف بين الإيمان والكفر؛ إذ إن كثيرا من المشركين كانوا يعترفون بربوبية الله؛ فيقررون بوجوده وتفرد به بالخلق والرزق؛ لكنهم كانوا يرون استحقاق آلهتهم للعبادة؛ فإنها تقربهم من الله زلفى؛ كما حكي الله عنهم ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. مع أنه يفترض فيمن يؤمن بتفرد الله بالربوبية، وأنه الخالق المالك المدبر لكل شيء، وأنه الرازق المحيي المييت، وأنه لا يتحرك شيء ولا يسكن في هذا الكون إِلَّا بإذنه؛ المفترض فيه أن يتوجه إليه بالطاعة والعبادة، لا أن يتوجه لغيره مما لا يملك لنفسه شيء؛ فضلا أن يملك له ولغيره!. فإن الإيمان بتفرد سبحانه بربوبيته يقتضي إفراده بالإلهية؛ فمن كان ربا خالقا، رازقا، مالكا، متصرفا، محيا، مميتا، موصوفا بكل صفات الكمال، ومنزها من كل

نقص، بيده كل شيء، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِلَهَا واحدا لا شريك له؛ إذ كيف يكون هو الخالق المالك الذي يدبر أمور خلقه ويتصرف فيها، ويعبد غيره ممن لا يقدر على شيء من ذلك؟! لا شك أن ذلك من أعظم الظلم؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وقد سئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؛ فقال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

من أجل هذا كان الإيمان بإلهيته سبحانه يشمل الإيمان بربوبيته؛ فمن أذعن لله بتفردة بالإلهية؛ فقد أذعن بربوبيته، ومن كفر بإلهيته سبحانه؛ فقد كفر بربوبيته، وإن زعم أنه مؤمن بها.

فتوحيد العبادة: هو أن يفرد الله تبارك وتعالى بجميع أنواع العبادة؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف والرجاء، والحب، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يُعْبَدَ اللَّهُ بِالْحُبِّ والخوفِ والرجاءِ جميعاً؛ فعبادته ببعضها دون بعض ضلال.

رابعاً: الإيمان بتفرد الله بأسماءه وصفاته: (١)

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة من أسماء الله وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ على الحقيقة من غير (تحريف) ولا (تعطيل)، ومن غير (تكييف) ولا (تمثيل)؛ فكما أن ذاته - سبحانه وتعالى - لا تشبه الذوات؛ فكذلك أسماؤه وصفاته لا تشبه سائر الأسماء والصفات، لأنه سبحانه:

- لا سمي له: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾

- ولا كفاء له: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

- ولا شبيه له، ولا يُقَاسُ بخلقه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

١ وهو ما يسمى بـ (= توحيد الخبر)، (= توحيد المعرفة والإثبات).

- فله يد: لقوله لإبليس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾.
- وله سمع وبصر: لقوله لنبية موسى ﷺ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾.
- وهو يتكلم: لقوله ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.
- وله وجه: لقوله ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾.

السؤال الثالث:

تكلم عن: - (صفات الملائكة)

السؤال الرابع:

تكلم عن: - (أقسام الملائكة)

السؤال الخامس:

تكلم بالدليل عن: - (دور الملائكة مع الإنسان)

السؤال السادس:

تكلم بالدليل عن: - (علاقة الملائكة مع المؤمنين)

تكلّم عن: - (عقيدة أهل السنة في الإيمان بالكتب)

◀ **فأهل السنة يؤمنون بكل الكتب المنزلة إجمالاً:**

- فالإيمان بكتب الله التي أنزل على رسله كلها ركن عظيم من أركان الإيمان؛ لا يتحقق الإيمان إلا به. ومعنى الإيمان بالكتب:
- ١- أي أنها منزلة من عند الله على رسله إلى عباده بالحق،
 - ٢- وكذا الإيمان بما جاءت به من الشرائع التي شرعها الله للأمم من قبلنا،.
 - ٣- وأن من كذب بها أو جحد شيئاً (منها) فهو كافر بالله خارج من الدين.
- وقد دل على ذلك الكتاب والسنة؛ منها:

* قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. قال ابن كثير: «هو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء» اهـ.

* قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

* وفي حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان؛ قال له ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ (وَكُتُبِهِ) وَرُسُلِهِ... الحديث» متفق عليه. فذكر الإيمان بالكتب مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

◀ **وأهل السنة يؤمنون بما سمى الله عز وجل من كتبه على وجه الخصوص:**

- * فيؤمنون بصحف إبراهيم وموسى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾، وقال: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾

* وزبور داود ﷺ: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾

* وتوراة موسى ﷺ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾، وفي حديث احتجاج آدم وموسى -في الصحيحين- عن النبي ﷺ قال: «... قال آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده... الحديث»

* وإنجيل عيسى ﷺ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾.

* وقرآن محمد ﷺ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، وقوله: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن ما في الكتب؛ إنما هو كلام الله:

* لا كلام غيره، وأن الله تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذي أراد سبحانه؛ كما قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن كتب الله دعت كلها إلى عبادة الله وحده:

* قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، وذلك أن كتب الله إنما جاءت بإخلاص العبادة لله وحده؛ فما كان مناقضاً لذلك الأصل؛ فهو من تحريف المحرفين.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن جميع الكتب يصدق بعضها بعضاً :

* لقوله تعالى على لسان عيسى ﷺ: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾... إلى قوله. ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

* وقال في الإنجيل: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

* وقوله تعالى لأهل الكتاب: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن الكتب بعضها ينسخ بعض فيما احتوته من شرائع :

* لقوله تعالى على لسان عيسى ﷺ: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

* ولقوله تعالى لأهل الكتاب عن نبيه ﷺ: ﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن الله ينسخ آيات من كتبه بغيرها :

* لقوله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن القرآن هو آخر الكتب المنزلة ، وهو بذلك ناسخ لكل

الكتب قبله :

* قال تعالى: ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾.

* وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

* وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
* فمن كذب بشيء منه ممن سبقنا؛ فقد كذب بكتابه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
* وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى صلى الله عليه وسلم كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» أخرجه أحمد.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن القرآن محفوظ بخلاف الكتب السابقة:

* قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. وهذا من أعظم خصائص كتاب الله عن كتب الخلق وكلام الله عن كلام الخلق؛ فإن كتب المخلوقين عرضة للنقص والخلل والتعارض كما قال تعالى في وصف القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

* أما الكتب السابقة؛ فقد أخبر سبحانه بتبديلها، وتحريفها؛ كما قال تعالى متوعدًا اليهود: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، وقال أيضًا عنهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وقال: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾، وقال عن النصارى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾، وكما روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ ... وَقَدْ حَدَّثَكُمْ اللَّهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ وَغَيَّرُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ فَقَالُوا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» البخاري.

وذلك التحريف - كما قال العلماء - إنما وقع في هذه الكتب لأن الله وكل حفظها إلى من نزلت فيهم؛ كما قال تعالى في اليهود: ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ فوكل الحفظ إليهم فجاز التبديل عليهم. بخلاف القرآن؛ فإنه قال فيه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾؛ فلم يجز التبديل عليهم.

◀ أهل السنة يؤمنون بأن الله أنزل كتبه لتكون منهجاً كاملاً للحياة:

- * لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.
- * وقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾.
- * ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾
- * ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

السؤال الثامن:

- تكلم عن :- (عقيدة أهل السنة في الإيمان بالرسول)
- مع توضيح المذاهب في أولي العزم منهم

◀ أهل السنة يؤمنون بأن الإيمان برسول الله ركن عظيم من أركان الإيمان:

- * ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾. فذكر الله تعالى الإيمان بالرسول في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون من أركان الإيمان.
- * وفي حديث جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان؛ قال له ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ (وَرُسُلِهِ)... الحديث» متفق عليه. فذكر الإيمان بالرسول مع بقية أركان الإيمان الأخرى الواجب على المسلم تحقيقها واعتقادها.

◀ **وأهل السنة يؤمنون بكل الرسل الذين أخبر الله عنهم في كتابه وعلى لسان**

نبيه ﷺ (إجمالاً) :

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا
نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾
فهؤلاء الابطاط نؤمن بهم إجمالاً دون تفصيل؛ كما نؤمن بغيرهم من الرسل
الذين لم يقصهم الله على نبيه.

◀ **وأهل السنة يؤمنون بكل الرسل الذين أخبر الله عنهم في كتابه وعلى لسان**

نبيه ﷺ (تفصيلاً) :

وذلك بالإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه والنبي ﷺ في سنته، منهم:
* المذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون؛ ورد ذكر ثمانية
عشر منهم في سورة الأنعام، والآخرين في باقي السور؛ وهم:
آدم، ونوحاً، وإدريس، وهوداً، وصالحاً، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق،
ويعقوب، ويوسف، ولوطاً، وشعياً، ويونس، وموسى، وهارون، وإلياس،
وزكريا، ويحيى، واليسع، وذا الكفل، وداود، وسليمان، وأيوب، وعيسى،
ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين.
* فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيماناً مفصلاً، والإقرار لكل واحد
منهم بالنبوة أو الرسالة على ما أخبر الله ورسوله ﷺ عنهم .

◀ **وأهل السنة يؤمنون بتفاضل الرسل إجمالاً وتفصيلاً :**

وذلك على ما أخبر الله في كتابه؛ فقال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾

◀ وأهل السنة يؤمنون بما ذكر من أخبار وفضائل وخصائص بعضهم:

* كاتخاذ الله إبراهيم ومحمداً صلى الله عليهما وسلم خليلين لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، ولقول النبي ﷺ: «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» أخرجه مسلم.

* وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

* وكتسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه؛ كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، وإلانة الحديد له كما قال تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

* وكتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَاحُهاً شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾، وكتعليمه منطق الطير، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾.

◀ وأهل السنة يؤمنون بكل الرسل دون تفریق بينهم في ذلك:

فيجب الإيمان بجميع الرسل؛ فلا تؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ فإن ذلك كفر: * لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾.

* وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠﴾.

* فأطلق الكفر على من كذب بالرسول أو فرق بينهم بالإيمان ببعضهم والكفر ببعضهم. ثم قرر أن هؤلاء هم الكافرون حقًا الذين تحقق كفرهم صراحة.

◀ أهل السنة يؤمنون بأن الرسل بشر مخلوقون كسائر البشر، وليس لهم من

خصائص الربوبية شيء:

- * لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- * وقوله: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.
- * وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾.
- * وقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾.
- * وقوله سبحانه أمرًا نبينا محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾.

◀ أهل السنة يؤمنون بأن الأنبياء من خيرة البشر؛ اصطفاهم الله لتبليغ

رسالاته:

- * فيعتقدون فضلهم على غيرهم من الناس، وأنه لا يبلغ منزلتهم أحد من الخلق مهما بلغ من الصلاح والتقوى؛ إذ الرسالة اصطفاء من الله يختص الله بها من يشاء من خلقه ولا تنال بالاجتهاد والعمل.
- * لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾.
- * وقوله: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

* وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ﴾
إلى أن قال بعد ذكر طائفة من الأنبياء ﴿وَكَلَّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

◀ وأهل السنة يؤمنون بصدق الأنبياء المطلق فيما يبلغون عن ربهم:

* لقوله تعالى عن بعضهم: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.
* وقوله في إسماعيل ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.
* حتى إن الكافرين لتشهد بصدقهم يوم القيامة؛ وقد كانوا يكذبونهم في الدنيا؛ فيقولون: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن نبينا محمد ﷺ هو خاتم الرسل خلافاً للأحمدية:

* لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.
* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» البخاري.
* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي» متفق عليه.
* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِّنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ» أخرجه مسلم.

◀ وأهل السنة يؤمنون بأن الله بعث في كل أمة رسول لتحقيق التوحيد واجتناب ما

ينافيه من الشرك:

* قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

* وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

◀ اختلاف الناس في تحديد أولي العزم من الرسل:

أولو العزم من الرسل هم: ذوو الحزم والجد والصبر؛ كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وقد اختلف العلماء فيهم على أقوال:

١ - فقليل المراد بأولي العزم هم جميع الرسل:

فإن «من» في قوله ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس لا للتبعض. قال ابن زيد: «كل الرسل كانوا أولي عزم؛ لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل».

٢ - وقال آخرون هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام:

وهم ثمانية عشر؛ كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

٣ - وقال مقاتل: هم الستة الذين صبروا:

- نوح صبر على أذى قومه. - وإبراهيم صبر على النار.

- وإسحاق صبر على الذبح.

- ويعقوب صبر على فقد ولده، وذهاب بصره.

- ويوسف صبر على البئر. - وأيوب صبر على الضر.

٤- وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد، وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين: وهم ستة غير نبينا ﷺ: نوح، وهود، وصل، ولوط، وشعيب، وموسى؛ وهم المذكورون في الأعراف، وهود، والشعراء؛ فقد أمر النبي ﷺ بالجهاد كما جاهدوا.

٥- وقيل هم خمسة:

نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلى الله عليهم وسلم. وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، وعليه كثير من متأخري أهل العلم. واستدلوا على ذلك بشيئين:

* أن الله ذكر هؤلاء الخمسة مجتمعين في موطين من كتابه؛ الأول في سورة الأحزاب حيث قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾. والثاني في سورة الشورى؛ حيث قال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. قال بعض المفسرين: ووجه تخصيصهم بالذكر الإعلام بأن لهم مزيد شرف وفضل لكونهم من أصحاب الشرائع المشهورة ومن أولي العزم من الرسل.

* أن هؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم ﷺ؛ كما في حديث الشفاعة.

السؤال التاسع:

- أذكر عشرة أسماء (لليوم الآخر)

– (يَوْمُ التَّنَادِ) مِنْ أَسْمَاءِ الْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَاذْكُرِ الْأُجُوهَ الثَّمَانِيَةَ لِلنِّدَاءِ

◀ بعض أسماء اليوم الآخر:

١- يوم القيامة:

- * ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ سورة القيامة.
- * ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ سورة السجدة.
- * ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ سورة المؤمنون.
- * ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ سورة الأنبياء.
- * ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ سورة مريم.

٢- يوم الوعيد:

- * ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ سورة ق.

٣- يوم الخروج:

- * ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ سورة ق.

٤- يوم البعث:

- * ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ سورة الروم.

٥- يوم الفصل:

- * ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ سورة النبا.

٦- يوم الدين:

- * ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ سورة الفاتحة.
- * ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ سورة الصافات.
- * ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ سورة الشعراء.
- * ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ سورة الحجر.

٧- يوم الحسرة:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

مریم.

٨- يوم الخلود:

﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ سورة ق.

٩- يوم الحساب:

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ سورة ص.

﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ سورة ص.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ

الْحِسَابِ﴾ سورة غافر.

١٠- يوم الآزفة:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ سورة غافر.

١١- يوم التلاق:

﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ سورة غافر.

١٢، ١٣- يوم الجمع، ويوم التغابن:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ...﴾ سورة التغابن.

١٤- اليوم الآخر:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ

الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ سورة الأحزاب.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...﴾ سورة البقرة.

* ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ سورة غافر.

١٦ - ومن جملة الأسماء أيضاً «القارعة» - «الصاخة» - «الطامة الكبرى» - «الغاشية» - «الواقعة» - «الحاقة».

هذه هي أشهر أسماء يوم القيامة، وقد أورد بعض العلماء أسماء أخرى غير ما ذكرناه، وهذه الأسماء أخذوها:

* بطريق الاشتقاق بما ورد منصوباً عليه فقد سموه مثلاً بـ«يوم الصدر» كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾.

* وكذلك سموه بأسماء الأوصاف التي وصف الله بها ذلك اليوم، فقد سموه مثلاً بـ«يوم عبوس قمطرير» كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾.

* وكذلك سموه بحسب ما ورد في من أحوال؛ فقد سموه مثلاً بـ«يوم العرض» كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾، وسموه بـ«يوم الناكور» كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ * فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾. وقد يضيف إليها بعض أهل العلم أسماء أخرى، وقد يسمى الاسم بما يقاربه ويمثله. ولا حرج - إن شاء الله - أن يطلق عليه غير تلك الأسماء التي تعبر عنه؛ فعلى هذا سار العلماء، ولم نعلم فيهم منكرًا لذلك، والله أعلم^(١).

١ فائدة: في سر كثرة أسماء اليوم الآخر:

قال القرطبي في «التذكرة»: «وكل ما عظم شأنه؛ تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه؛ وهذا مهيع كلام العرب. ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم موضعه، وتأكد نفعه لديهم وموقعه؛ جمعوا له خمسمائة اسم، وله نظائرها. فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها؛ سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة» اهـ.

◀ أوجه العلماء في سبب تسمية يوم التناد بهذا الاسم:

التناد: بتخفيف الدال، وحذف الياء؛ فالأصل التنادي. وهو: التفاعل من النداء؛ يقال: «تنادى القوم»: أي نادى بعضهم بعضاً.

وقد ذكر العلماء أوجهًا في ذكر أسباب تسمية يوم التناد بهذا الاسم؛ ذكرها الفخر الرازي، وأبو حيان الأندلسي، وابن كثير، والنيسابوري، والآلوسي، والشوكاني؛ في تفاسيرهم؛ ومنها:

* الأول:

لأنه ينادى باللعنة على الظالمين؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ذكره الفخر الرازي

* الثاني:

لأن الظالمين ينادي بعضهم بعضًا بالويل والثبور والحسرة؛ كما في قولهم يومئذ: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا...﴾، وقولهم: ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾. نسبه القرطبي لابن جريج.

* الثالث:

لأن أهل النار ينادون أهل الجنة، وأهل الجنة ينادون أهل النار على ما ذكر في سورة الأعراف. قال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾، وقال: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾؛ ذكره الرازي، وقال ابن كثير أو لمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار.

* الرابع:

لأن المؤمن ينادي إذا أوتي كتابه يمينه: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيهِ﴾، والكافر ينادي إذا أوتي كتابه شماله: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ﴾. ذكره الرازي.

* الخامس:

لأن الخلق ينادون إلى أرض المحشر؛ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ﴾. ذكره الرازي.

* السادس:

قيل لنداء الملائكة أهل الجنة وأهل النار؛ وذلك حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح؛ فينادي في أهل القيامة خلود بلا موت؛ فيزداد أهل الجنة فرحاً على فرح ، وأهل النار حزناً على حزن. ذكره الرازي، والخازن، والنيسابوري.

* السابع:

لأن الناس يدعون يوم القيامة ومعهم إمامهم -على اختلاف في تفسيره أنه رسولهم أو كتابهم الذي أنزل عليهم أو كتاب أعمالهم- ودليله: قوله ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...﴾. نسبه الرازي للزجاج.

* الثامن:

لأنه ينادى فيه بالسعادة والشقاوة؛ حيث أن الميزان عنده ملك، إذا وزن عمل العبد فرجح؛ نادى بأعلى صوته ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإذا لم يرجح؛ قال: إن فلان ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً. ذكره الخازن وابن كثير.

* التاسع:

قيل يوم التناد يعني يوم التنافر؛ حيث قرأ ابن عباس، والضحاك، وأبو صالح، والكلبي، والزعفراني، وابن مقسم: ﴿التَّادُ﴾ بتشديد الدال، من: ند البعير؛ إذا نفر وهرب؛ أي: يوم الهرب والفرار؛ لأنهم إذا جيء بجهنم، وسمعوا زفيرها؛ يندون هارين، ويؤيده قوله تعالى بعدها: ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾، وفي الحديث «إن

للناس جولة يوم القيامة يندون» أي: يظنون أنهم يجدون مهرباً؛ ثم تلا: ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ...﴾. نسبه ابن كثير للضحاك، ونسبه الرازي والنيسابوري إلى أبي علي الفارسي.

* الحادي عشر:

وعن ابن عباس أن هذا التنادي هو التنادي الذي يكون بين الناس عند النفخ في الصور ونفخة الفزع في الدنيا وأنهم يفرون على وجوههم للفزع الذي نالهم وينادي بعضهم بعضاً، وروي هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ. ذكره ابن عطية، وأبو حيان، والألوسي.

* الثاني عشر:

وقيل المراد به يوم الاجتماع من ندا إذا اجتمع ومنه النادي. ذكره الألوسي.

* الثالث عشر:

قال ابن عطية: يحتمل أن يراد به تذكير الكافرين والعصاة بكل نداء في يوم القيامة؛ فإن فيه مشقة عليهم.

* قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: «واختار البغوي وغيره: أنه سمي بذلك لمجموع ذلك. وهو قول حسن جيد، والله أعلم» اهـ

* وقال الشوكاني في «فتح القدير»: «ولا مانع من الحمل على جميع هذه المعاني» اهـ

السؤال العاشر:

- اذكر حديثاً يجمع الآيات العشر قبل قيام الساعة
- ثم تكلم عن أشرط الساعة الأخرى باختصار

◀ نص الحديث الذي يجمع عشر آيات قبل قيام الساعة:

عن حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ تَقُومَ [الساعة] حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ فَذَكَرَ:

١- الدُّخَانُ

٢- والدِّجَالُ

٣- والدَّابَّةُ

٤- وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

٥- وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم

٦- وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

وثَلَاثَةَ خُسُوفٍ:

٧- خَسْفٌ بِالشَّرْقِ

٨- وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ

٩- وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ

١٠- وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ [مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ] تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ [تَنْزِلُ مَعَهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا]»

أخرجه مسلم وأحمد والزيادات له.

◀ ذكر أشرار الساعة الأخرى:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى:

- تَقْتُلَ فِتْنَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعَوْتُهُمَا وَاحِدَةٌ،

- وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ،

- وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ،
- وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ،
- وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ،
- وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ،
- وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ،
- وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يَهْمَ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ،
- وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ لَا أَرَبَ لِي بِهِ،
- وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ،
- وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ
- ٢- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ:

- مَوْتِي
- ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
- ثُمَّ مَوْتَانُ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ
- ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظْلُ سَاخِطًا
- ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ
- ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ فَيَعْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ رَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

- ٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفِرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

- ٤- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا الْيَهُودَ حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ وَرَاءَهُ الْيَهُودِيُّ يَا مُسْلِمُ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ» الْبُخَارِيُّ.

٥- عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ:

- أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ

- وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ

- وَيُشْرَبَ الْخَمْرُ

- وَيَظْهَرَ الزُّنَا

- وَيَقِلَّ الرَّجَالُ وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ حَتَّى يَكُونَ لِلْخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»

البخاري.

٦- عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ
اللَّهُ اللَّهُ» مسلم.

السؤال الحادي عشر:

تكلّم عن :- (الذّجال) ؛ مكان خروجه - وأتباعه - والأماكن التي
سيطوؤها - ونهايته - وماذا يعصم منه

◀ نبذة مختصرة عن الذّجال :

* فتنة الدجال من الفتن العظيمة التي تقع في آخر الزمان قبل قيام الساعة؛ وهي إحدى أشراط الساعة الكبرى؛ وهي من أكبر الفتن التي تمر على البشرية.

* فعن هشام بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ فِتْنَةٌ أَكْبَرُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» أخرجه مسلم وأحمد واللفظ له. ويروى مثله عن أبي أمامة رضي الله عنه مطولاً؛ أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن»، وابن أبي عاصم في «السنة»، وفيه كلام.

◀ مكان خروج الدجال:

* يخرج الدجال من المشرق من بلد فارسية يقال لها خراسان:

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ بِالشَّرْقِ يُقَالُ لَهَا خُرَاسَانُ» أخرجه أحمد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني والأرنؤوط.

* أما أول ظهوره بين الناس؛ فيكون في مكان بين العراق والشام:

فعن النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن الدجال أنه: «خَارِجٌ خَلَّةَ بَيْنِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ» أخرجه مسلم.

◀ أتباع الدجال:

١ - اليهود:

فعن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَتَّبِعُ الدَّجَالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطِّيَالِسَةُ» أخرجه مسلم.

٢ - النساء:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَنْزِلُ الدَّجَالُ الْمَدِينَةَ، وَلَكِنَّهُ يَنْزِلُ الْخَنْدَقَ، وَعَلَى كُلِّ نَقَبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهَا، فَأَوَّلُ مَنْ يَتَّبِعُهُ النِّسَاءُ وَالْإِمَاءُ... الحديث» أخرجه الطبراني بإسناد حسن، وله شاهد من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَكْثَرُ تَبَعِهِ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ» أخرجه أحمد، وفيه ضعف.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالشَّرْقِ يُقَالُ لَهَا خُرَّاسَانُ؛ يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّهُمْ وَجُوهُهُمْ الْمَجَانُّ الْمَطْرَقَةُ» أخرجه أحمد، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني والأرنؤوط.

◀ الأماكن التي سيطؤها الدجال:

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ؛ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ؛ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ؛ فَيَخْرُجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ» متفق عليه.

* وعن فاطمة بنت قيس عن النبي ﷺ عن تميم الداري رضي الله عنه أن الدجال قال له: «أَمَا إِنِّي سَاطَأُ الْأَرْضَ كُلَّهَا؛ [فَلَا أَدَعُ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا] غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ» أخرجه مسلم وأحمد بسند صحيح، والسياق لأحمد والزيادة لمسلم.

◀ نهاية الدجال:

* عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمَكُثُ [فِيهِمْ] أَرْبَعِينَ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللَّهُ [عَزَّوَجَلَّ] عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ [كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ [الثَّقَفِيُّ] فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ» أخرجه مسلم وأحمد والزيادات له.

* وعن مُجَمِّعَ بن جارية الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَقْتُلُ ابْنُ مَرْيَمَ الدَّجَالَ بِبَابِ لُدٍّ» أخرجه الترمذي وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال إثر حكايته استعداد المسلمين لقتال الدجال: «فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ؛ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ؛ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ؛ فَأَمَّهُمْ؛ فَإِذَا رَأَاهُ عَدُوُّ اللَّهِ؛ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ؛

فَلَوْ تَرَكَهُ؛ لَأَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ؛ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»
أخرجه مسلم، وابن حبان، والحاكم، وصححه وقال: «على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي،
وصححه الألباني، والأرناؤوط.

◀ ما يعصم من الدجال؛

١ - المحافظة على التعوذ منه في الصلاة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» أخرجه مسلم.

٢ - كثرة التعوذ بالله منه:

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ» أخرجه مسلم.

٣ - الفرار منه، والبعد عنه:

فعن أم شريك -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لِيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ» أخرجه مسلم.

وعن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ سَمِعَ [مِنْكُمْ بِخُرُوجِ] الدَّجَالِ؛ فَلْيَنْأَ عَنْهُ [مَا اسْتَطَاعَ] فَوَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَّبِعُهُ لِمَا يَبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ» صحيح: أخرجه أحمد وابن أبي شيبة -والزيادة له- وأبو داود -واللفظ له- والحاكم وصححه؛ فقال: «هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم».

٤ - الاعتصام في مكة أو المدينة؛ فإنه لا يدخلهما لأن الملائكة تحرسها:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ تَقَابِهَا نَقَبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا» متفق عليه.

٥ - حفظ عشر آيات من سورة الكهف تحسباً لملاقاته:

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ» أخرجه مسلم.

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ» أخرجه مسلم.

السؤال الثاني عشر:

تكلم عن :- (أهم المباحث المتعلقة بحوض النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة)

◀ المبحث الأول : في الأدلة الشرعية التي تثبت وجود الحوض :

* عن عبد الله بن مسعود، وجندب بن عبد الله، وسهل بن سعد، وعقبة بن عامر، وشقيق بن عبد الله، وأم سلمة وغيرهم -رضي الله عنهم أجمعين- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ» أخرجه البخاري جميعاً خلا حديث أم سلمة؛ فأخرجه مسلم، وحديث شقيق أخرجه أحمد.

* قال ابن أبي العز الحنفي في «شرح الطحاوية»: «الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر؛ رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً، ولقد استقصى طرقها شيخنا الشيخ عماد الدين بن كثير -تغمده الله برحمته- في آخر تاريخه الكبير المسمى بـ(لبداية والنهاية)^(١)» اهـ.

١ ولبقي بن خلد الأندلسي جزء مطبوع باسم: «الحوض والكوثر» استقصى هو الآخر ما رواه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عنه في ذلك.

◀ المبحث الثاني: في وجود الحوض (الآن):

* عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنِّي فَرَطُ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي ((الآن))» أخرجه البخاري.

◀ المبحث الثالث^(١): في اختصاص نبينا ﷺ بالحوض دون سائر الأنبياء^(٢):

اختلف أهل العلم في هل «لكل نبي حوضاً»؛ أم أن الله اختص نبينا ﷺ بذلك وحده دون سائر الأنبياء، وأنهم سيردون حوضه مع سائر المؤمنين.

* فذهب فريق من أهل العلم إلى تعدد الأحواض، وأن «لكل نبي حوضاً»: وعلى رأس هؤلاء الحسن البربهاري؛ إمام الحنابلة في عصره، وقلده في ذلك السفاريني من متأخري الحنابلة، وانتصر لهذا المذهب الشيخ الألباني، والشيخ ابن عثيمين؛ رحم الله الجميع.

* وذهب آخرون إلى اختصاص نبينا ﷺ بالحوض، وأن سائر الأنبياء وأممهم واردوه مع أمة النبي ﷺ؛ ومن هؤلاء القاضي عياض، وأبي العباس القرطبي صاحب «المفهم»، والحافظ ابن حجر، وبدر الدين العيني؛ رحم الله الجميع.

١ استفتدت كثيراً في هذا المبحث بما كتبه شيخنا وأستاذنا أبو عبد الرحمن عمرو بن عبد المنعم سليم في كتابه المميز: «رياض الجنة شرح وترتيب (شرح السنة للبرهاري)» ط. ابن القيم وابن عفان، واستغنيت عن الإحالة عليه في كثير من المواضع خشية الإطالة؛ فجزاه الله خيراً.

٢ قال الشيخ ابن عثيمين في «شرح العقيدة الواسطية»: «جاء في حديث رواه الترمذي - وإن كان فيه مقال -: (إن لكل نبي حوضاً)؛ لكن هذا يؤيده المعنى؛ وهو أن الله عز وجل بحكمته وعدله كما جعل للنبي محمد ﷺ حوضاً يردّه المؤمنون من أمته، كذلك يجعل لكل نبي حوضاً؛ حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي ﷺ» اهـ. قال شيخنا - في «رياض الجنة» ص (١٢٤) - معلقاً: «قلت: اختصاص النبي ﷺ بالحوض دون غيره من الأنبياء لا يوجب خلاف الحكمة والعدل من الله تعالى ذكره؛ فقد صح أن الله اختص نبيه محمداً ﷺ بما لم يخص به أحداً من الأنبياء؛ بل اختص أمته بما لم يخص به غيرها من الأمم، والشاهد أن المعنى لا يكفي لأن يشهد بإثبات ذلك إذا لم يؤيده النص الصحيح من الكتاب والسنة» اهـ.

* **والراجع:** هو مذهب من يقول باختصاص نبينا ﷺ بالحوض، وهذا للآتي:

أولاً: ضعف كل ما ورد في أن «لكل نبي حوضاً»؛ ومن ذلك:

١- حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه؛ من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعاً؛ وفيه أن «لكل نبي حوض». وهو ضعيف؛ فيه سعيد بن بشير، وهو ضعيف الحديث خصوصاً في قتادة؛ فإنه يروي عنه المناكير. ومما يدل على ذلك أن قتادة قد توبع عليه من حزم بن أبي حزم عن الحسن مرسلاً، وسنده صحيح بالنسبة إلى الحسن؛ ولكنه ضعيف مرفوعاً؛ فهو مرسل من مراسيل الحسن؛ وهي من أوهى المراسيل عند الحديثين. وأما الشيخ الألباني؛ فجعل هذا المرسل وهو المحفوظ شاهداً للأول الموصول؛ وهذا غريب؛ إذ كيف يقوى المرجوح بالراجح والمعلول بالمعلل؟! وأما ما ذكره ابن كثير عن القطان والمزي من إطلاق تصحيحه بطرقه؛ فلا يسلم لهم لما ذكرنا، والله أعلم. والحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣١٢ / ٧) من غير طريق الحسن؛ وفيه مجاهيل!

٢- حديث ابن عباس رضي الله عنه؛ وفيه ذكر «حياض الأنبياء»، وفي إسناده مجاهيل!

٣- حديث عوف بن مالك رضي الله عنه؛ فليس فيه محل الشاهد؛ زد على ذلك أنه ضعيف؛ أورده الشيخ الألباني في «الضعيفة».

٤- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ من طريق زكريا بن أبي زائدة عن عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعاً، وفيه أن «لكل نبي حوض»؛ وإسناده منكر؛ فقد تفرد به عطية العوفي؛ وهو ضعيف لاسيما في أبي سعيد الخدري؛ فإنه كان يروي عن محمد بن السائب الكلبي الكذاب!، ويكنيه أبا سعيد؛ فيقول حدثنا أبو سعيد يريد الكلبي؛ فيدلسه موهماً من سمعه أنه أبو سعيد الخدري، وليس كذلك!.

ثانياً: أن الدليل الصحيح دل على أن هناك حوض واحد؛ وهو لبنينا ﷺ وأن

سائر الأمم تورّد عليه: (١)

* ففي حديث أبي هريرة، وحذيفة بن اليمان - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ لما ذكر الحوض لأصحابه؛ سأله: «وَكَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ» أي عند الحوض؛ فقال لهم: «لَكُمْ سِيَمَا^(٢) لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ: تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ [يَقُولُهَا ثَلَاثًا وَأَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ]» أخرجهما مسلم، والإمام أحمد من حديث أبي هريرة فقط والزيادة لأحمد.

قلتُ: وفي الحديث دلالة على ورود سائر الأمم حوض نبينا ﷺ؛ فإنه إذا كان كل من يرد حوضه ﷺ من أمة فقط، وكان لكل نبي حوض ترده أمة؛ فلا فائدة إذاً من ذكر النبي ﷺ تمييزه لأمتنا ومعرفته إياهم بآثار الوضوء عند الحوض^(٣)؛ لأنه لن يحتاج حينئذ إلى تمييزهم؛ فالكل من أمة! فدل ذكره ﷺ تمييزه لأمة بآثار الوضوء على أن سائر الأمم - والتي لا تختص بجلية الوضوء - ترد حوض النبي ﷺ، ونبينا ﷺ يميز أمة - يومئذ - بالجلية الناشئة عن آثار الوضوء؛ فيسعى لهم ليستنقذهم إلى الحوض.

* وفي رواية للحديث السابق عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» أخرج مسلم.

١ وهذه الاستدلالات لم أجد من سبقني إليها من أهل العلم؛ فله الحمد والمنة والفضل وحده.

٢ وهي: «العلامة». قاله النووي.

٣ فالأمة الإسلامية هي وحدها المختصة بالنور من آثار الوضوء يوم القيامة دون غيرها من الأمم السابقة؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أُمَّتِي يَدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ» البخاري. ولا يفهم من هذا الحديث أنهم مخصوصون بالوضوء برمته دون سائر الأمم كما ذهب إليه بعض العلماء؛ فإنه قد ثبتت مشروعية الوضوء على الأمم السابقة؛ كما في قصة جريج العابد - التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ -؛ أنهم لما أنزلوه وكسروا صومعته وسبوه: «فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى» البخاري. وفي قصة سارة زوج خليل الرحمن - التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه -؛ أن الطاغية الجبار لما أرسل في طلبها وقام إليها: «فَقَامَتْ تَوَضَّأَتْ وَتَوَضَّأَ» البخاري.

قلتُ: وفي هذا الحديث دلالة على أن الناس من سائر الأمم غير أمة النبي ﷺ تُورد على حوضه؛ فيمنعهم النبي ﷺ؛ وهذا المنع من النبي ﷺ إنما هو من أجل أن ترد أمته الحوض أولاً؛ وعندما يستنقذ من أمته من سُمح له به؛ يورد على الحوض سائر المؤمنين من الأمم السابقة. والله اعلم.

ثالثاً: أن اختصاص نبينا ﷺ بالحوض هو الأشهر بين أهل العلم:

قال الحافظ في «الفتح» (١١/٤٦٧): «قد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض» ثم ساق الأحاديث الواردة في حياض الأنبياء، وبين عللها، ثم قال: «وإن ثبت؛ فالمختص بنبينا ﷺ الكوثر الذي يصب من مائة في حوضه؛ فإنه لم ينقل نظيره لغيره ووقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة» اهـ.

◀ **المبحث الرابع: في صفة الحوض وما يحتويه:**

أولاً: عرضه وطوله:

* أما عرضه:

- ففيه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وإنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى الْجُحْفَةِ» مسلم.
- وفيه حديث حذيفة رضي الله عنه أنه رضي الله عنه قال: «بَيْنَ [طَرْفَيْ] حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةٍ وَمُضَرَ» أخرجه أحمد.
- وفيه حديث ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما سُئِلَ عن عرض الحوض قال: «مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ» مسلم.^(١)

١ قال القاضي عياض: «وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ليس موجبا للاضطراب؛ فإنه لم يأت في حديث واحد؛ بل في أحاديث مختلفة الرواة، عن جماعة من الصحابة؛ سمعوها في مواطن مختلفة ضربها النبي ﷺ في كل واحد منها مثلاً لبعد أقطار الحوض، وسعته، وقرب ذلك من الأفهام؛ لبعد ما بين البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع للتحديد؛ بل للإعلام بعظم هذه المسافة، فبهذا تجمع

* وأما طوله:

- ففيه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ» البخاري

* وأما ما ثبت في الصفتين معاً:

- فحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَرَضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ» أخرجه مسلم.

- وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ» أخرجه مسلم، وفي رواية أحمد؛ قال: «عَرَضُهُ وَطُولُهُ وَاحِدٌ»^(١).

ثانياً: صفة ماءه، ومن أين يأتي، وأثره على من شرب منه:

* أما صفة ماءه:

- ففيه حديث ثوبان وأبي ذر - رضي الله عنهما - أنه صلى الله عليه وسلم قال واصفاً الماء بأنه: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ» أخرجهما مسلم.

- وفيه حديث حذيفة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ» أخرجه أحمد.

- وفيه حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ» متفق عليه.

* وأما من أين يأتي:

الروايات» اهـ. ، وقال القرطبي في «التذكرة» (١/ ٥٨٦): «ظن بعض الناس أن في هذه التحديدات التي في أحاديث الحوض اضطراب واختلاف؛ وليس كذلك؛ فإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة؛ فخاطب في كل مرة لكل قوم بما يعرفون من الأماكن والجهات، والله أعلم» اهـ بتصرف وانظر «البداية والنهاية» (١٩/ ٤٧٢/ تركي).

١ قال البوصيري في «إتحاف الخيرة»: «رواه مسدد، ورواته ثقات» وقال الإمام أحمد بعد روايته للحديث: «قال عبيد الله: ما سمعت في الحوض حديثاً أثبت من هذا فصدق به وأخذ الصحيفة فحبسها عنده» اهـ.

- ففيه حديث ثوبان، سوابي ذر - رضي الله عنهما - رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: «يَعْتُ^(١)» [وفي رواية: يَصُبُّ] فِيهِ مِزَابَانِ يَمْدَانِهِ^(٢) مِنْ الْجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالْآخَرُ مِنْ وَرَقٍ» أخرجهما مسلم، والإمام أحمد والزيادة له.

* وأما أثره على من شرب منه:

- ففيه حديث حذيفة بن اليمان وجابر بن عبد الله، وعبد الله ابن عمرو، وسهل بن سعد، وأبي ذر وغيرهم - رضي الله عنهم - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ [شَرْبَةً] لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا» أخرج أحمد حديث حذيفة وجابر، والبخاري حديثا عبد الله وسهل رضي الله عنهما، ومسلم حديث أبي ذر رضي الله عنه، والزيادة من حديث أبي ذر.

ثالثًا: عدد آنيته وكيزانه:

- فيه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ» متفق عليه.

- وحديث أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَأَنيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ^(٣)» أخرج مسلم.

رابعًا: أجمع حديثين في وصفه جملة:

* حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ أَيْلَةٍ إِلَى صَنْعَاءَ عَرْضُهُ كَطُولِهِ فِيهِ مِزَابَانِ يَنْتَعِبَانِ مِنَ الْجَنَّةِ [أحدهما] مِنْ وَرَقٍ وَالْآخَرُ مِنْ ذَهَبٍ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ؛

١ «معناه يدفعان فيه الماء دفقا متتابعًا شديدًا» قاله الهروي؛ نقلًا عن النووي.

٢ «أي يزيدانه ويكثرانه» قاله النووي.

٣ قال في «التحفة»: «أي لا غيم فيها ولا سحب من أصحت السماء أي انكشف عنها الغيم» اهـ. وقال النووي: «وخص الليلة المظلمة المصحية لأن النجوم ترى فيها أكثر، والمراد بالمظلمة التي لا قمر فيها، مع أن النجوم طالعة، فإن وجود القمر يستر كثيرًا من النجوم» اهـ.

فِيهِ أَبَارِيقُ عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ»
أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالزِّيَادَةُ لِلْحَاكِمِ.

* حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرَقِ [وَفِي رَوَايَةٍ: مِنَ اللَّبَنِ] وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ؛ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

◀ المبحث الخامس : فيمن يوردون على الحوض :

١ - أول من يردون الحوض هم فقراء المهاجرين:

فَعَنْ ثُوبَانَ وَابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَوَّلُ النَّاسِ وَرُودًا عَلَيْهِ فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هُمُ الشُّعْثُ رُءُوسًا؛ الدُّنْسُ ثِيَابًا؛ الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ؛ وَلَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السُّدَدِ؛ [الَّذِينَ يُعْطُونَ كُلَّ الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَلَا يَأْخُذُونَ الَّذِي لَهُمْ]» (١).

٢ - ثم أهل اليمن خاصة:

فَعَنْ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَبِعَقْرِ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَذُودُ (٢) عَنْهُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُهُمْ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفُضَ عَلَيْهِمْ (١)» (٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ.

١ أَخْرَجَ حَدِيثَ ثُوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَالْحَوِينِيُّ؛ ثُمَّ قَالَ: «وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي سَنَدِهِ وَشَرَحْتُ ذَلِكَ فِي تَحْرِيجِي عَلَى (مَعْجَمِ الْإِسْمَاعِيلِيِّ)؛ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ» هـ. وَأَخْرَجَ حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَحْمَدُ، وَحَسَنَ إِسْنَادَهُ الْمُنْذَرِيُّ فِي «الْتَرغِيبِ» وَوَافَقَهُ الْأَلْبَانِيُّ وَالْحَوِينِيُّ. وَالزِّيَادَةُ الَّتِي بَيْنَ الْمَعْقُوفِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢ أي: «أَطْرُدُ وَأَمْنَعُ» قَالَهُ النَّوَوِيُّ.

٣- ثم سائر المؤمنين من أمته:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَدِدْتُ أَنَا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا!؛ قَالُوا: أَوْلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!؛ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ!؛ فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!؛ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهِمَ بِهِمْ؛ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟!؛ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ» أخرجه مسلم.

٣- ثم سائر المؤمنين من الأمم السابقة -على الراجح:-

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ إِبِلَ الرَّجُلِ عَنْ إِبِلِهِ» أخرجه مسلم.

قلت: وفي هذا الحديث دلالة على أن الناس من سائر الأمم غير أمة النبي صلى الله عليه وسلم تورد على حوضه؛ فيمنعهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ وهذا المنع من النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من أجل أن ترد أمته الحوض أولاً؛ وعندما يستنقذ من أمته من سُمِحَ له به؛ يورد على الحوض سائر المؤمنين من الأمم السابقة. والله اعلم.

تنبيه: كيف يعرف النبي صلى الله عليه وسلم المؤمنون من أمته من بعده عند الحوض:

سبق معنا حديث أبي هريرة، وحذيفة بن اليمان -رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الحوض لأصحابه؛ سألوه: «وَكَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ

١ «أَيَّ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ» قاله النووي.

٢ قال النووي: «معناه أطرده الناس عنه غير أهل اليمن ليرفض على أهل اليمن، وهذه كرامة لأهل اليمن في تقديمهم في الشرب منه مجازاة لهم بحسن صنيعهم، وتقدمهم في الإسلام. والأنصار من اليمن، فيدفع غيرهم حتى يشربوا كما دفعوا في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم أعداءه والمكروهات» اهـ

أُمَّتِكَ» أي عند الحوض؛ فقال لهم: «لَكُمْ سِيَمًا (١) لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ: تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ [وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ]» أخرجهما مسلم، وأخرج أحمد حديث أبي هريرة فقط.

◀ المبحث السادس: فيمن يزدادون عن الحوض:

١ - المرتدون:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ هَلُمَّ فَقُلْتُ أَيْنَ قَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ قُلْتُ وَمَا شَأْنُهُمْ قَالَ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى... فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلٍ النَّعَمِ» أخرجه البخاري.

٢ - المبتدعة عامة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَلَا لِيَذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيَقَالُ إِنَّهُمْ قَدْ بَدَلُوا [وفي رواية: أَلْجَدُوا] بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا» أخرجه مسلم، وابن خزيمة والزيادة له.

٣ - المرجئة والقدرية خاصة:

فعن أبي ليلي الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا يَرِدَانِ عَلَيَّ الْحَوْضِ: الْقَدَرِيَّةُ وَالْمَرْجِيَّةُ» (١)

١ وهي: «العلامة». قاله النووي.

فعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ (يَكْذِبُونَ وَيَظْلِمُونَ) فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ» (وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَى الْحَوْضِ) وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ [لَمْ] يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَى الْحَوْضِ» أخرجه أحمد والترمذي والنسائي والزيادة له. وإسناده صحيح. ويروى مثله عن جمع من الصحابة.

◀ المبحث السابع: متى يورد الناس على الحوض:

اختلف أهل العلم في: متى يورد الناس على الحوض على أقوال:

١ - فمنهم من رأى أنهم يردون عليه (قبل) المرور على الصراط:

فذهب الغزالي والقرطبي إلى ذلك، واستدلوا -كما حكى الحافظ (١١) / (٤٦٦) - أنه: «في بعض أحاديث هذا الباب أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يكادوا يردون ويذهب بهم إلى النار؛ ووجه الإشكال: أن الذي يمر على الصراط إلى أن يصل إلى الحوض يكون قد نجا من النار فكيف يرد إليها؟!»

١ أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار»، وابن أبي عاصم في «السنة»، والعقيلي في «الضعفاء»، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد»، والبيهقي في «القضاء والقدر» من طرق عن سليمان بن جعفر الأزدي عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده مرفوعاً به. والحديث من رواية أبي ليلى الأنصاري؛ صححه الألباني في «الصحيحة» (٦/ ٥٦٣) ح (٢٧٤٨) بعد تضعيفه سابقاً؛ وذلك لوقوفه على شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه الطبراني في الأوسط؛ فانظر تحقيقه؛ فإنه مهم. قلت: وللحديث شواهد أخرى من حديث أبي بكر الصديق، ومعاذ بن جبل، وجابر بن عبد الله، وابن عمر، وابن عباس - رضي الله عن الجميع -؛ وليس المحل يسع لبسطها ونقدها.

وقال ابن كثير «البداية والنهاية» (١٩ / ٤٦٩ / تركي): «إن ظاهر الأحاديث يقتضي كونه قبل الصراط، لأنه يذاد عنه أقوام يقال عنهم إنهم لم يزالوا يرتدون على أدبارهم وأعقابهم منذ فارقتهم، فإن كان هؤلاء كفاراً؛ فالكافر لا يجاوز الصراط؛ بل يكب على وجهه في النار قبل أن يجاوزه،... ثم من جاوز الصراط لا يكون إلا ناجياً مسلماً؛ فمثل هذا لا يحجب عن الحوض. فالأشبه والله أعلم أن الحوض قبل الصراط» اهـ باختصار.

٢- ومنهم من رأى أنهم يردون عليه (بعد) المرور على الصراط:

واستدلوا بحديث انس رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ أَنَا فَاعِلٌ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ قَالَ أَطْلُبُنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ قَالَ فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ قَالَ فَاطْلُبُنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ الْمَوَاطِنَ» أخرجه أحمد والترمذي - واللفظ - بإسناد صحيح.

قال الحافظ في «الفتح» (١١ / ٤٦٦): «وإيراد البخاري لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نصب الصراط؛ إشارة منه إلى أن الورود على الحوض يكون بعد نصب الصراط والمرور عليه» اهـ.

والراجع:

هو المذهب الأول، والله أعلم لقوة أدلته. أما بالنسبة لحديث أنس رضي الله عنه؛ فلا يظهر منه والله أعلم أنه ذكر هذه المواطن على الترتيب؛ وإلا لكان الميزان أيضاً بعد الصراط، ولا قائل بذلك. كما قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩ / ٤٧١ / تركي) أن: «ظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان أيضاً، وهذا لا أعلم به قائلاً» اهـ.

السؤال الثالث عشر:

(معتقد أهل السنة في الميزان يخالف معتقد المعتزلة والخوارج)

- ناقش هذه العبارة

- واذكر الآراء في الموزون

◀ يؤمن أهل السنة بأن الميزان حق، وأنه ميزان على الحقيقية، وأن له كفتان وأنه من عظيم مخلوقات الله، وأنه توزن به أعمال العبيد يوم القيامة. وخالفهم في ذلك المعتزلة وبعض أهل السنة -كمجاهد والضحاك والأعمش، وابن حزم-؛ فقالوا: [١] أن المقصود به العدل؛ فإن لذلك أصل في القرآن ولغة العرب، [٢] وقالوا أيضاً: أن الأعمال أعراض، والأعراض يستحيل وزنها لأنها لا تقوم بنفسها، [٣] وقالوا: ليس لله حاجة في وزن الأشياء؛ فهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال، [٤] وقالوا: أنه لم يثبت في الميزان شيء إلا من قبيل الآحاد.

فَرَدَّ عليهم أهل السنة من وجوه:

الأول: أن هناك أحاديث (صحيحة) فيها ذكر الميزان بصفته وأنه له كفتان؛ ومنها:

- حديث صاحب البطاقة والسجلات التسع والتسعين، وفيه أن الله يقول له: «احْضُرْ وَزَنُوكَ؛ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟!؛ فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ؛ قَالَ: فَتَوَضَّعُ السَّجَلَاتُ (فِي كَفَّةٍ) وَالْبِطَاقَةُ (فِي كَفَّةٍ)؛ فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ» أخرجه أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. ففي الحديث إشارة لكفتي الميزان (١).

- وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ [وَلَهُ كِفَّتَانِ]. فَلَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّتِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ؛ لَوَسِعَتْهُ؛

١ قال الألباني في «الصحيحة»: «وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضاً؛ فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة، والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة» اهـ

فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: رَبَّنَا مَنْ تَزَنُّ بِهَذَا؟؛ فَيَقُولُ: مَا شِئْتُ مِنْ خَلْقِي؛ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: [سُبْحَانَكَ] رَبَّنَا مَا عَبْدُنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ» (١).

١ أخرجه الحاكم في «المستدرک» من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعاً به، وقال «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»؛ ووافقه الذهبي في «التلخيص»، وأورده الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦١٩) ح (٩٤١) وقال: «إسناده صحيح»، ولكنه اعترض على كونه على شرط مسلم؛ فقال: «وفيه نظر؛ فإن هذبة بن خالد - وإن كان من شيوخ مسلم -؛ فإن الراوي عنه - المسيب بن زهير - لم أر من وثقه، وقد ترجم له الخطيب؛... ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً» اهـ.

قلت: أما شيخ الحاكم؛ فهو محمد بن صالح بن هانيء، أورده ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٨٦)، وقال: «محمد بن صالح بن هانيء بن يزيد أبو جعفر الوراق سمع الحديث الكثير، وكان له فهم وحفظ، وكان من الثقات الزهاد» اهـ، وذكر مثله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥/ ٢١٠ / تركي). ونقل الحافظ في «لسان الميزان» (٥/ ٢٣٩) عن الحاكم أنه قال: «سمعت أبا جعفر محمد بن صالح بن هانيء (الثقة المأمون)» اهـ. وانظر أيضاً «تاريخ دمشق» (٥/ ٤٧). وقال الشيخ الألباني في «الصحيحة» (٦/ ٨١٩): «لم أجد له ترجمة ثم وجدت في بعض كتاباتي على (المستدرک) أنه مترجم في «الطبقات الكبرى» للسبكي (٢/ ١٧٤) ...» اهـ.

وأما شيخه المسيب بن زهير؛ فهو ابن مسلم البغدادي أبو مسلم التاجر؛ ذكره الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ١٤١)، وذكر أنه روى عنه جماعة، وأنه توفي سنة ٢٨٥هـ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، ثم روى بإسناده عن محمد بن صالح بن هانيء أنه قال: «ورد المسيب بن زهير البغدادي نيسابور مع الحسين بن الفضل البجلي [قلت: وهو العلامة المفسر] وكان القيم بأسبابه؛ فنزل نصراباذ وكتبنا عنه إلى أن توفي بنيسابور» اهـ. قلت: وقد تتبع أكثر من حديث في المستدرک يرويه المسيب بن زهير؛ فوجدت الحاكم يصححه، ويوافقه الذهبي على ذلك؛ فالذي يترجح لي من كل ذلك أنه لا ينزل عن رتبة «صدوق»؛ وإن كان يظهر من صنيع الحاكم والذهبي أنهما يوثقانه؛ لكونهما يذكران في أحاديثه أنها على شرط الصحيح، والله أعلم.

والحديث اختلف في رفعه؛ فأخرجه أسد بن موسى في «الزهد» (٦٦) قال: «نا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي موقوفاً عليه، وكذا أخرجه ابن أبي الدنيا - كما عند ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٥١١ / تركي) -، وابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٨٧٦) ح (١٨٢٧)، والحسين المروزي في زوائده على ابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٧) - ومن طريقه الآجري في «الشریعة» (٣/ ١٣٢٩ / دمیجی) ح (٨٩٥) -، وكذلك أخرجه الآجري في «الشریعة» (٣/ ١٣٢٨) ح (٨٩٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ ١٢٤٥) ح (٢٢٠٨)؛ جميعهم من طرق عن حماد بن سلمة بالإسناد سواء. إلا أنه وقع خطأ في إسناد اللالكائي؛ فقد قال عن حماد عن (ليث) بدلاً من

الثاني: أن هناك أحاديث كثير فيها ذكر الوزن على حقيقة، وأن الله يصور الأعمال جواهر فتوزن؛ ومنها:

- حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقْرءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبُقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا» أخرجه مسلم وأحمد، وأخرجه الترمذي من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه.

الثالث: أن هناك حديث ذكر فيه أن للميزان مكان؛ فكيف لا يكون حقيقياً: وهو حديث أنس رضي الله عنه أنه لما سال النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة؛ سأله قال: «(فَأَيْنَ) أَطْلُبُكَ؟!» قال: اطلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبْنِي عَلَى الصِّرَاطِ. قال: قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؛ قال: فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ... الحديث» أخرجه أحمد والترمذي -

(ثابت)، والذي يبدو لي -والله أعلم- أنه ليس اختلافاً في الإسناد؛ وإنما سهو أو خطأ ناسخ، وقد نبه على ذلك المحقق في الهامش.

قال الحافظ ابن رجب -في «التخويف من النار/ مجموع» (٤/ ٣٤٠/ الفاروق)- متعقباً الحاكم: «المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله» اهـ. قلت: وهو كما قال، ولكنه كما قال الشيخ الألباني -في «الصحيحة»-: «له حكم المرفوع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي» اهـ.

والسياق المختار هو من رواية موسى بن أسد، والزيادة الأولى لابن أبي الدنيا، والثانية للأجري. وله شاهد أخرجه أبو الطاهر [محمد بن أحمد الذهلي القاضي] في «جزءه» من حديث عائشة؛ فقال: «حدثنا موسى بن زكريا، قال: حدثنا فرج بن عبيد الزهراني، قال: حدثنا الحكم بن ظهير، عن الحسن بن عمار، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عائشة» قلت: «وإسناده باطل»؛ فيه متروكان؛ وهما الحكم بن ظهير، والحسن بن عمار؛ وإن صح إسناده؛ فهو «منقطع»؛ فالحسن البصري لم يدرك عائشة. والحديث عزاه السيوطي في «جمع الجوامع» للدري المشهور لابن مردويه؛ ولم أقف على أسانيدهما.

واللفظ له - بإسناد صحيح. وفيه أن أنسًا رضي الله عنه سأله عن مكانه ب (أين)؛ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم معبراً بالظرفية فقال: «(عند) الميزان».

الرابع: أنه قد نقل الإجماع على حقيقة الميزان:

١- أبو حاتم، وأبو زرعة الرازيين:

قال ابن أبي حاتم: «سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك؛ فقالا: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار؛ حجازاً، وعراقاً، وشاماً، ويمناً؛ فكان من مذهبهم :... والميزان حق، له كفتان، توزن فيه أعمال العباد حسناتها وسيئها» اهـ أخرجه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد».

٢- أبو إسحاق الزجاج:

قال -فيما نقله الحافظ في «الفتح»-: «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة ، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال» اهـ.

الخامس: بخصوص قولهم أنه العدل:

فيقال لهم: الأصل في النصوص هو إرادة الظاهر المتبادر إلى الذهن منها عند الإطلاق حتى يصرفه الشارع عن ذلك الظاهر؛ فتفسيركم للميزان بالعدل: هو خلاف ظاهر النصوص، وهذا باتفاق؛ فما الذي أوجب عندكم العدول عن ظاهر النص إلى التأويل؟! (١).

١ قال الشوكاني في «فتح القدير»: «قال الزجاج: (هذا سائغ من جهة اللسان، والأولى أن تتبع ما جاء في الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان). قال القشيري: (وقد أحسن الزجاج فيما قال؛ إذ لو حمل الميزان على هذا؛ فليحمل الصراط على الدين الحق!، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد!، والشياطين والجنّ على الأخلاق المذمومة!، والملائكة على القوى الحمودة!). ثم قال: وقد أجمعت الأمة في الصدر الأوّل على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل، وإذا أجمعوا على منع التأويل؛ وجب الأخذ بالظاهر، وصارت هذه الظواهر نصوصاً» اهـ. قال الشوكاني: «وأما المستبعدون لحمل هذه الظواهر

السادس: بخصوص قولهم أن الأعمال أعراض يستحيل وزنها أو وصفها بخفة أو ثقل:

فيقال لهم:

١- أن الله - جل وعلا - قادر على أن يحول الجواهر إلى أعراض والأعراض إلى جواهر توضع في الميزان يوم القيامة بحسب الحسنات والسيئات؛ فلماذا استعظمتكم هذا في حق الله القادر على كل شيء.

٢- أن الله هو الذي وصفها بالخفة والثقل؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿ فَإذ كانت الأعمال أعراضاً؛ فكيف وصفها الله بالخفة والثقل.

السابع: بخصوص قولهم ليس لله حاجة في وزن الأشياء؛ وهو العالم بمقدار كل شيء:

قال ابن جرير في «تفسيره» (١٢ / ٣١٢ - ٣١٣) -رداً عليهم-: «ذلك نظير إثباته إياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾؛ فكذاك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما

على حقائقها فما يأتون في استبعادهم بشيء من الشرع يرجع إليه ، بل غاية ما تشبثوا به مجرد الاستبعادات العقلية ، وليس في ذلك حجة على أحد ، فهذا إذا لم تقبله عقولهم ، فقد قبلته عقول قوم هي أقوى من عقولهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، حتى جاءت البدع كالليل المظلم وقال كل ما شاء ، وتركوا الشرع خلف ظهورهم وليتهم جاءوا بأحكام عقلية يتفق العقلاء عليها ، ويتحد قبولهم لها ، بل كل فريق يدعى على العقل ما يطابق هواه ، ويوافق ما يذهب إليه هو أو من هو تابع له ، فتتناقض عقولهم على حسب ما تناقضت مذاهبهم ، يعرف هذا كل منصف ، ومن أنكره فليصف فهمه وعقله عن شوائب التعصب والتمذهب ، فإنه إن فعل ذلك أسفر الصبح لعينيه» اهـ

بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم؛... فكذلك وزن الله أعمال خلقه، بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان، وكتب سيئاته في الكفة الأخرى، ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلاً وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى، احتجاجاً من الله بذلك على خلقه، كفعله بكثير منهم: من استنطاق أيديهم وأرجلهم، استشهاداً بذلك عليهم، وما أشبه ذلك من حججه» اهـ

الثامن: بخصوص قولهم: «أنه لم يثبت في الميزان شيء إلا من قبيل الآحاد»: فيقال لهم: العبرة في أحكام الله - سبحانه وتعالى - بالقرآن وبصحيح الخبر عن النبي ﷺ؛ سواءً كان ذلكم الحديث متواتراً أو آحاداً. وقد استفرغ أهل السنة في الرد عليكم بالنسبة لمذهبكم في عدم الاحتجاج بحديث الآحاد؛ فليس هنا محل البسط.

◀ بيان اختلاف العلماء في الموزون:

والذي يوزن في الميزان ثلاثة ، وقد دلت النصوص عليها جميعاً:

١ - الأعمال نفسها:

وأنها تجسم؛ فتوضع في الميزان، وتوزن فيه؛ وأدلة هذا القول:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه.

- وحديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» أخرجه مسلم.

- وحديث أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي [مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» (١).

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩ / ٥٠٢ / تركي): «فيه دلالة على أن العمل نفسه يوزن، وذلك بأن العمل نفسه - وإن كان عرضاً قد قام بالفاعل - يحيله الله تعالى يوم القيامة؛ فيجعله ذاتاً توضع في الميزان» اهـ بتصرف.

- والحديث الذي يُروى! عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يوضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات... الحديث»؛ ولكنه «ضعيف منكر» (٢).

- ومن أشهر أنصار هذا المذهب الإمام البخاري حيث بوب في صحيحه: «بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلُهُمْ يُوزَنُونَ» اهـ، وانتصر له الحافظ في «الفتح» (١٣ / ٥٣٩)؛ فقال: «والصحيح أن الأعمال هي التي توزن» ثم احتج في ذلك بحديثي جابر وأبي الدرداء السابقين.

١ أخرجه أحمد والترمذي - واللفظ والزيادة له - وأبو داود؛ وقال الترمذي «هذا حديث حسن صحيح» وأقره البغوي في «شرح السنة»، والنووي في «رياض الصالحين»، والعراقي في «تخريج الإحياء»، والحافظ في «بلوغ المرام» و«الفتح» (١٠ / ٤٥٨)، وقال في (١٣ / ٥٣٩): «صححه ابن حبان»، وذكره الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢ / ٥٦٣).

٢ أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤ / ٣١٣) من طريق عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه مرفوعاً به، وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى أبي الشيخ وابن مردويه الأعراف ٤٤، وفيه عباد بن كثير الثقفي البصري؛ قال البخاري: «تركوه»، وقال النسائي: «متروك الحديث»، وقال الدارقطني: «ضعيف»، وقال العجلي - على تساهله -: «ضعيف متروك الحديث». والحديث أورد الشيخ الألباني في «الضعيفة» (١٣ / ٦٦) - مختصراً دون محل الشاهد - من رواية ابن مردويه بإسناده نقلاً عن «تفسير ابن كثير» (٢ / ٢١٦)؛ وحكم عليه بأنه: «منكر». قال الحافظ في «الفتح»: «أخرجه خيثمة في (فوائده)، وعند ابن المبارك في (الزهد) عن ابن مسعود نحوه موقوفاً» اهـ؛ ولم أقف عليه.

٢- ثواب العمل:

- لحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقْرءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّاتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا» أخرجه مسلم وأحمد. وأخرجه الترمذي من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه، ثم قال عقبه: «ومعنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن وفي حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأهله الذين يعملون به في الدنيا ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل» اهـ.

٣ - أن الموزون هو: (صحف الأعمال) بما فيها من أعمال:

- ودل على ذلك حديث صاحب البطاقة والسجلات التسع والتسعين، وفيه أن الله يقول له: «احْضُرْ وَزَنُوكَ؛ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ؛ قَالَ: فَتَوَضَّعُ (السَّجَلَاتُ) فِي كَفَّةٍ وَ(الْبِطَاقَةُ) فِي كَفَّةٍ؛ فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ» أخرجه أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. ففي الحديث إشارة لوزن السجلات.

- ومن أشهر أنصار هذا المذهب: القرطبي ونسبه لابن عمر رضي الله عنه، والسفاريني ونسبه لابن عبد البر وجمهور المفسرين، والشوكاني.

٣ - أن الموزون هو: (العامل نفسه):

فقد دل الدليل على أن العباد يوزنون يوم القيامة؛ فيثقلون في الميزان أو يخفون بحسب أعمالهم وإيمانهم؛ لا بضخامة أجسادهم؛ ومن جملة الأدلة على ذلك:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَأُوا ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾» متفق عليه.

- وحديث ابن مسعود رضي الله عنه لما ضحك القوم من دقة ساقيه؛ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» وفي رواية الطياليسي: «(لَهُوَ) أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ» (١).

- وحديث البطاقة الذي يرويه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه - وقد جاء في إحدى رواياته أن النبي صلى الله عليه وسلم - قال: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الْمِيزَانِ، فَيُوضَعُ فِي الْكِفَّةِ، فَيُخْرَجُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سَجَلًا فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ. قَالَ: ثُمَّ يُخْرَجُ لَهُ كِتَابٌ مِثْلُ الْأَنْمُلَةِ، فِيهَا: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صلى الله عليه وسلم؛ قَالَ: فَتُوضَعُ فِي الْكِفَّةِ، فَتَرْجَحُ بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ» (٢).

١ أخرجه أبو داود الطياليسي، والإمام أحمد، وحسن إسناده الألباني في «إرواء الغليل» (١/ ١٠٤)، والهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٩).

٢ أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٣١٣) من طريق عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، عن عبد الله بن يزيد المعافري، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه موقوفاً عليه؛ وقال الشيخ أحمد شاكر: «وهذا خبر صحيح الإسناد»؛ قلت: بل هو «حسن»، وقد اختلف في إسناده ومتنه؛ فقد أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (١/ ٢٧٨) ح (٣٣٩)، وابن أبي الدنيا - كما في «البداية والنهاية» (١٩/ ٥٠١/ تركي-)، والآن في «الشرعية» (٣/ ١٣٣٣/ دميحي) مرفوعاً من نفس الطريق؛ وليس فيه أن الرجل يوضع في الميزان؛ وإنما سجلات ذنوبه. والحمل في هذا الاختلاف على ابن زياد الإفريقي؛ فإسناده الطبري إليه صحيح، وقد تكلموا في الإفريقي؛ قال الذهبي في «الكاشف» (١/ ٦٢٧): «ضعفوه»؛ وقال الترمذي: رأيت البخاري يقوي أمره؛ ويقول: هو مقارب الحديث» اهـ، ولا شك أن الوجه المحفوظ هو رواية الآن في المرفوعة؛ فإنها أوفق لرواية الليث بن سعد الشهيرة لهذا الحديث. أما الزيادة في متن رواية ابن جرير، والذي فيها أن الرجل «يوضع في الكفة»؛ فشاذة؛ ولها شاهد أخرجه أحمد (٦٦/ ٧٠) من طريق ابن لهيعة، عن عامر بن يحيى، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كِفَّةٍ فَيُوضَعُ مَا أُخْصِيَ عَلَيْهِ... الحديث»، وهي شاذة أيضاً تفرد بها ابن لهيعة وكذلك زيادات أخرى؛ قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩/ ٥٠١): «وهذا السياق فيه غرابة» اهـ، وقال العلامة أبو محمد أحمد بن شحاتة

قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٩ / ٥٠١ / تركي): «فيه فائدة جليلة؛ وهي أن العامل يوزن مع عمله» اهـ

والراجح والله أعلم أن العبد يوزن بالسجلات التي فيها أعماله وهذا ما استظهره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٢ / ٣١٤)، والشيخ حافظ حكيمي في «معارج القبول».

السؤال الرابع عشر:

– قارن بين معتقد أهل السنة في الشفاعة وبين معتقد الخوارج والمعتزلة

– وما هي شفاعات النبي ﷺ

* معنى الشفاعة:

- (لغة): اسم من شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر، قال تعالى: ﴿والشفع والوتر﴾. وتعني: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.
- (اصطلاحاً): هي توسط من أذن الله له بالشفاعة كإذنه للنبي ﷺ بالشفاعة في أهل الموقف.

◀ معتقد الخوارج والمعتزلة في الشفاعة:

قد أنكر المعتزلة والخوارج الشفاعة في أهل الكبائر الذين يدخلون النار، وذلك بناء على مذهبهم في تكفير صاحب الكبيرة:

الألفى السكندري - حفظه الله - في «المقالات القصار»: «أبدع ابن لهيعة شيئاً من وهمه الذي خانه بعد اختلاطه وسوء حفظه؛ فجاء بهذه المعاني المنكرة على خلاف الحفظ والثابت من معاني الحديث وألفاظه؛ كما أتقنه إمام حفاظ أهل مصر: الليث بن سعد» اهـ باختصار. قلت: وشذوذ هذا الحرف - «يوضع في الكفة»- في روايتي الإفريقي، وابن لهيعة؛ إنما هو لا يضطربها، ومخالفتها لرواية الليث؛ إلا أن ذلك لا يمنع من صحة معناها؛ (فالمعنى صحيح) يشهد له ما أوردناه من أدلة في هذا الباب، والله أعلم.

* فأما الخوارج:

فيعتقدون أن كل من أذنب ذنباً؛ فضلاً عن أن يكون كبيرة؛ فهو حلال الدم، كافر مخلد في النار يعذب عذاب الكافرين، وذلك إذا لم يتب في الدنيا، وقد أجمعت على ذلك سائر فرقهم -كما حكى الأشعري والملطي والاسفراييني عنهم- إلا خوارج النجدات؛ فإنهم يكفرونه على معنى كفر النعمة، ويقولون لا ندري لعل الله يعذبهم بذنوبهم في غير نار جهنم ثم يدخلهم الجنة..

* وأما المعتزلة:

فيعتقدون أن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان؛ بلا ولا الإسلام!، ويزعمون أن له اسماً بين الاسمين، وحكماً بين الحكمين؛ فلا يسمى مؤمناً أو مسلماً، ولا يسمى كافراً أو منافقاً؛ وإنما يسمى فاسقاً. ولا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن؛ بل يفرد له حكم ثالث بين المنزلتين؛ أي منزلة بين الإيمان والكفر، ولكنهم يجرون عليه أحكام المسلمين في الدنيا قياساً على المنافقين، ويقولون أنه في الآخرة من المخلدين في النار، وعقابه أخف من عقاب أهلها، وذلك كله إذا خرج من الدنيا قبل أن يتوب.

* ومنشأ الشبهة عند الفرقتين:

أنهم اعتقدوا الإيمان شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض، كما أنهم اعتقدوا أن الشخص الواحد لا يجتمع فيه ثواب وعقاب، ولا مدح وذم، ولا وعد ووعد؛ فما الناس إلا شقي أو سعيد، زد على ذلك اغترارهم بظواهر جملة من النصوص؛ فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي ارتكبها؛ فكان ما ترى من إنكارهم للشفاعة في أهل المعاصي.

* أما أهل السنة فيقولون:

- أن مرتكبي الكبائر، وسائر العصاة إما مؤمنون ناقصوا الإيمان، أو مسلمون فاسقون، وأنهم لم يخرجوا بمعاصيهم من دين الإسلام؛ فهم مؤمنون مسلمون بإيمانهم، فاسقون بكبيرتهم ومعاصيهم.

- أنه يجتمع في الشخص الواحد إيمان وكفر، طاعة ومعصية؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، والشواهد على ذلك الأصل كثيرة لا محل لبسطها.

- أن الله يغفر كل ذنب مات عليه صاحبه -صغر أم كبر- خلا الشرك؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ فصاحب المعصية في مشيئة الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، مع كونه مستحقاً للعقوبة.

- أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بكل ذنب ما لم يستحله، ولا يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله؛ فالإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي.

- أن صاحب المعصية التي مات عليها وإن دخل النار؛ فعذابه ليس كعذاب الكافرين، كما أنه لا يخلد فيها؛ فإنه يخرج منها -بمشيئة الله- بعد استيفاء عقوبته، أو بشفاعة الشافعين؛ فيدخل الجنة في نهاية الأمر.

* فعن يزيد الفقيرو قال: كُنْتُ قَدْ شَغَفَنِي رَأْيِي مِنْ رَأْيِ الْخَوَارِجِ فَخَرَجْنَا فِي عِصَابَةِ ذَوِي عَدَدٍ نُرِيدُ أَنْ نَحُجَّ ثُمَّ نَخْرُجَ عَلَى النَّاسِ قَالَ فَمَرَرْنَا عَلَى الْمَدِينَةِ فَإِذَا جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَالِسٌ إِلَى سَارِيَةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَإِذَا هُوَ قَدْ ذَكَرَ الْجَهَنَّمِيِّينَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ مَا هَذَا الَّذِي تُحَدِّثُونَ، وَاللَّهِ يَقُولُ ﴿إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ وَ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾؛ فَمَا هَذَا الَّذِي تَقُولُونَ؟! قَالَ: فَقَالَ: أَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟! قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَهَلْ سَمِعْتَ بِمَقَامِ

مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي الَّذِي يَبْعَثُهُ اللَّهُ فِيهِ؟!؛ قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَإِنَّهُ مَقَامُ مُحَمَّدٍ ﷺ الْمَحْمُودُ الَّذِي يُخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مَنْ يُخْرِجُ» مسلم.

◀ أنواع الشفاعة:

١ - الشفاعة المنفية: هي التي تطلب من غير الله، وقد نفاها الله عمن تطلب منه بغير إذنه فقال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءَ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ وقال: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

٢ - الشفاعات المثبتة: وهي الشفاعة التي تكون لمن أذن له فيها الله تبارك وتعالى من الملائكة والنبين والشهداء وعامة المؤمنين. ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

◀ وشفاعات النبي ﷺ يوم القيامة على قسمين:

* القسم الأول: الشفاعة الخاصة له وحده ﷺ؛ وهي أنواع:

[١] الشفاعة العظمى (=المقام المحمود):

وهي المقام المحمود الذي وعده الله، فإن الناس يلحقهم يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم من الغم والكرب ما لا يطيقونه، فيذهبون إلى أولو العزم عليهم الصلاة والسلام فيتعللون ويعتذرون، ثم يذهبون إلى النبي ﷺ فيقول: «أنا لها»، فيشفع فيهم إلى الله ليريحهم من ذلك.

[٢] شفاعته ﷺ في أهل الجنة أن يدخلوها (=وقيل هي من مقامه):

فإنهم إذا عبروا الصراط ووصلوا إليها وجدوها مغلقة، فيطلبون من يشفع لهم، فيشفع النبي ﷺ إلى الله في فتح أبواب الجنة لأهلها، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾؛ فقال:

﴿وَفُتِحَتْ﴾، فهناك شيء محذوف؛ أي: وحصل ما حصل من الشفاعة، وفتحت الأبواب. أما النار؛ فقال فيها: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا...﴾. كما يدل عليها حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» مسلم. وقال ابن عمر رضي الله عنه: «فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة؛ فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً؛ يحمد به أهل الجمع كلهم» البخاري.

[٣] شفاعته صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب:

فيشفع له بأن يخفف عنه العذاب، وهذه مستثناة من قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾، وذلك لما كان لأبي طالب من نصرة للنبي صلى الله عليه وسلم ودفاع عنه، فهو لم يخرج من النار، لكن خفف عنه؛ قعن العباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عمه: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ [يَبْلُغُ كَعْبِيهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ] وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» أخرجه البخاري. وهذه الشفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلا لا أحد يشفع في كافر أبداً إلا النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم تقبل الشفاعة كاملة، وإنما هي شفاعة تخفيف فقط.

* القسم الثاني: الشفاعة العامة له صلى الله عليه وسلم وغيره من المؤمنين، وهي أنواع:

[١] الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها:

وهذه قد يستدل لها بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه»، فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفّعهم الله في ذلك.

[٢] الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها:

وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم عصاة من المسلمين؛ ماتوا مصرين على معاصيهم مع إيمانهم بتحريمها. وقد تواترت بهذه الشفاعة الأحاديث

وأجمع عليها الصحابة، واتفق عليها أهل الملة عدا المعتزلة والخوارج؛
فإنهم ينكرون الشفاعة في أهل المعاصي مطلقاً لأنهم يرون أن فاعل
الكبيرة مخلد في النار، ومن استحق الخلود، فلا تنفع فيه الشفاعة.

[٣] الشفاعة في رفع درجات المؤمنين:

وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كما قال النبي ﷺ في أبي
سلمة: «اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وأفسح له
في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه». والدعاء شفاعة، كما قال
ﷺ: «ما من مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا
يشركون بالله شيئاً، إلا شفّعهم الله فيه».

السؤال الخامس عشر:

ما هي أركان الإيمان بالقضاء والقدر (تفصيلاً)؟

إن الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان؛ من أتى بها جميعاً؛ فقد صح إيمانه
بالقدر، ومن انتقص منها شيئاً؛ اختل إيمانه به؛ وهي:
الركن الأول: الإيمان بعلم الله الأزلي الشامل المحيط بكل شيء.
الركن الثاني: الإيمان بكتابة الله الأزلية لكل ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة.
الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة الشاملة في جميع خلقه.
الركن الرابع:

◀ الركن الأول: الإيمان بعلم الله الأزلي الشامل المحيط بكل شيء:

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات
والمعدومات والممكنات والمستحيلات، وأنه عَلمَ ما الخلق عاملون قبل خلقهم،
وعَلمَ أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وحركاتهم وسكناتهم، وعلم منهم الشقي

والسعيد، وذلك بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً؛ فالله يعلم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل على ذلك:

- قوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

- وقوله: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

- وقوله: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾.

- وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؛ فبعلمه كتب كل شيء.

- وفي الصحيحين من حديث ابن عباس وأبي هريرة - رضي الله عليهما - قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

◀ الركن الثاني: الإيمان بكتابة الله الأزلية لكل ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة:

فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله تبارك وتعالى كتب ما سبق به علمه من مقادير المخلوقات في اللوح المحفوظ؛ وهو الكتاب الذي لم يُفَرِّط فيه من شيء؛ ويسمى: الذكر، والإمام، والكتاب المبين. فكل ما جرى وما يجري - صغيراً كان أو كبيراً - مذ خلق الله الخليقة وكل ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فهو مكتوب عند الله تعالى في أم الكتاب، لا يتغير ولا يتبدل - على الراجح - (١). وقد دل على ذلك:

(١) فقد ذهب بعض أهل العلم - ويروى ذلك عن ابن عباس ؓ ومجاهد وغيرهم - أن الله يحو ويثبت في أم الكتاب كل شيء إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما؛ لا يتغيران، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. والراجح أن الذي يتغير إنما هو في

- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾
- وقوله: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
- وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾
- وقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾
- وقوله: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾
- وقوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
- وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾
- وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

صحائف الملائكة، وهذا التغير لا يخرج في نهايته عما هو مكتوب في اللوح المحفوظ؛ وذلك لكثرة الأدلة على ذلك. أما معنى الآية؛ فكما قال السعدي في «تفسيره»: ﴿يَمْنَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ﴾ من الأقدار ﴿وَيُنَبِّئُ﴾ ما يشاء منها، وهذا المحو والتغير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير؛ لأن ذلك محال على الله؛ أن يقع في علمه نقص أو خلل؛ ولهذا قال: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها، وهي فروع له وشعب. فالتغير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولحوها أسبابا، ولا تتعدى تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ؛ كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ» اهـ

- ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

- وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ قَالَ: [لَا] اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيسِرُّهُ لِلْيُسْرَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ فَسَنِيْسِرُّهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ متفق عليه، والسياق والزيادة للبخاري.

- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جَاءَ سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جُعْشُمٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ فِيمَا الْعَمَلُ الْيَوْمَ أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ قَالَ لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ قَالَ فَفِيمَ الْعَمَلُ قَالَ: اْعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ [لِعَمَلِهِ]» أخرجه مسلم والزيادة عنده.

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْ أَهْلُ النَّارِ قَالَ فَقَالَ نَعَمْ قَالَ قِيلَ فَفِيمَ يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ قَالَ كُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» أخرجه مسلم.

وكتابة المقادير على خمسة مراحل:

١- التقدير الأول لكل شيء: (١)

وهو تقدير كل شيء يقع في الكون، وكان ذلك التقدير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا التقدير لا يتغير ولا يتبدل. وكل التقديرات الأخرى - وإن تغيرت - لا تخرج عما أثبتته الله في هذا التقدير. ويدل عليه:

١ والبعض يسميه «التقدير الأزلي»، وليس بصحيح؛ فإن الله خلق القلم قبل كتابة المقادير؛ فكيف يكون ذلك التقدير أزلياً؟! فالصواب - والله أعلم - أن يقال «التقدير الأول».

- قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

- وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

- وقوله: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» متفق عليه.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم.

- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: «يَا بُنَيَّ: إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ قَالَ أَكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ [فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ]. يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي» جيد: أخرجه أبو داود والإمام أحمد والزيادة له.

٢- تقدير الشقاء أو السعادة عند الميثاق الأول:

وهو تقدير خاص بآدم وذريته جملة، وكان هذا التقدير عندما خلق الله آدم؛ فأخرج ذريته من ظهره كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ»، وهذا التقدير لا يخرج عما سطر من تقدير في اللوح المحفوظ. ويدل عليه:

- حديث عبد الرحمن بن قتادة السلمي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخُلُقَ مِنْ ظَهْرِهِ وَقَالَ هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أَبَالِي قَالَ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ قَالَ عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ» أخرجه أحمد، وصححه الألباني وله شاهد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه (١).

- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَأَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟!؛ فَيَقُولُ: نَعَمْ؛ فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا - وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ - أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَيُّتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي!» متفق عليه والسياق للبخاري.

١ قال الشيخ الألباني في الصحيحة -عند تخريجه أحد روايات هذا الحديث-: «كثير من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث -ونحوها أحاديث كثيرة- تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية؛ ما دام أنه حكم عليه منذ القديم و قبل أن يخلق بالجنة أو النار، و قد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ؛ فمن وقع في القبضة اليمنى؛ كان من أهل السعادة، و من كان من القبضة الأخرى؛ كان من أهل الشقاوة!». فيجب أن يعلم هؤلاء جميعا أن الله إذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته؛ فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته. ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس. كيف و الله عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرَمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. ثم إن كلا من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابهما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار؛ بل هو حكم من الله تبارك و تعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة، أو كفر يقتضي النار و العياذ بالله تعالى منها، وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان، لا يكره الله تبارك و تعالى أحدا من خلقه على واحد منهما كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ، و مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾، وهذا مشاهد معلوم بالضرورة؛ ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثا، و الله منزّه عن ذلك» اهـ باختصار وتصرف يسيرين.

٣- التقدير العمري:

وهو تقدير خاص بكل إنسان على حدة، ويكون هذا التقدير عند تخليق النطفة في الرحم حين تبلغ مائة وعشرين يومًا؛ فيرسل الله لها ملكًا؛ فيصورها (ذكرًا أو أنثى)، وينفخ فيها الروح، ويكتب أجل الإنسان، ورزقه، وعمله، وشقيًا هو أم سعيدًا، وهذا التقدير أيضًا لا يخرج عما سطر من تقدير في اللوح المحفوظ. ويدل عليه:

- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةٌ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتُبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ. فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ (١) بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا (٢). وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا (٣)» متفق عليه، والسياق لمسلم وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه مسلم.

(١) قال ملا القاري في «المرقاة»: «فيه إشارة إلى أن دخول النار لا يكون بمجرد تعلق العلم الإلهي بل لا بد من ظهور العمل المخلوق... وفيه دلالة ظاهرة على أن الأعمال أمارات لا موجبات وأن مصيرها إلى ما جرى به المقادير في البداية» اهـ.

(٢) قال المناوي في «التيسير»: «لأن الخاتمة إنما هي على وفق الكتابة ولا عبرة بظواهر الأعمال قبلها بالنسبة لحقيقة الأمر وإنما اعتد بها من حيث كونها علامة» اهـ.

(٣) وقال الشيخ عبد المحسن العباد: «دلّ الحديث على أن الإنسان يعمل العمل الذي فيه سعاده أو شقاوته بمشيئته وإرادته، وأنه بذلك لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته، وهو خَيْرٌ باعتبار أنه يعمل باختياره، ومسيّرٌ بمعنى أنه لا يحصل منه شيء لم يشأه الله، وقد دلّ على الأمرين ما جاء في هذا الحديث من أنه قبل الموت يسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة أو يعمل بعمل أهل النار» اهـ عن شرحه «فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين». ولشيخ الإسلام ابن تيمية شرح مطول رائق جدًا لهذا الحديث في «مجموع فتاواه» (٢٧٥/٨ وما بعدها)، وقد رد فيه على الجبرية والقدرية، وله كلام جيد أيضًا في «الفتاوى» (٢٤٣/٤)، (٦٥/٨)، (٤٢٩/٨)، «درء التعارض» (٢٩٨/٤).

٤ - التقدير الحولي في ليلة القدر:

وهو تقدير عام لكل شيء، ويكون هذا التقدير في ليلة القدر من كل عام، وهذا التقدير أيضاً لا يخرج عما سطر من تقدير في اللوح المحفوظ. ويدل عليه:

- قوله تعالى: ﴿حَمْدُكَ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره»: «أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتابة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف

- قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها: «[يعني: ليلة القدر؛ ففي تلك الليلة] يفرق فيها أمر الدنيا من السنة إلى السنة» (١). وفي رواية قال: «يكتب من أم الكتب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة ورزق ومطر وشيء حتى الحجاج يكتبون يحج فلان ويحج فلان» (٢).

٥ - التقدير اليومي:

وهو سوق المقادير إلى أصحابها في المواقيت التي قدرت فيها فيما سبق؛ فهو بمثابة تأويل المقدور على العبد، وإنفاذه فيه في الوقت الذي سبق أنه يناله فيه، لا يتقدمه، ولا يتأخره؛ مثل: أن يحيى، ويميت، ويخلق، ويرزق، وعز ويذل، ويشفي مريضاً، ويفرج مكروباً، ويحبب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً... إلى آخر ما لا يحصى من أفعاله، وإحداثه في خلقه ما يشاء سبحانه. ويدل عليه:

١ أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ١٠) بسند صحيح والحاكم وصححه ووافقه الذهبي وقال: «صحيح على شرط مسلم» والزيادة للحاكم.

٢ علقها محمد بن نصر في «قيام الليل»، ولم أقف على إسنادها.

- قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾.
- فعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾؛ قال: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفْرِجَ كَرْبًا [وَيُجِيبُ دَاعِيًا] وَيَرْفَعَ قَوْمًا وَيَخْفِضَ آخَرِينَ» (١).

◀ الركن الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة، وقدرته التامة الشاملة في جميع خلقه: فيجب على كل مسلم أن يؤمن بأن كل ما يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة؛ يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته؛ لا يُسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يُسألون؛ فمشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (٢). وكل ما وقع وما سيقع في الكون؛ فإنه مطابق لعلمه السابق المكتوب في اللوح المحفوظ؛ فلا يخرج عن إرادته شيء مما وقع. ويدل عليه:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.
- وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.
- وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾.
- وقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.
- وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١ أخرجه ابن ماجه وابن أبي عاصم -والزيادة له- وابن أبي حاتم، وابن حبان، والطبراني، وحسنه

الألباني. وله شاهد من حديث عبد الله بن منيب رضي الله عنه

٢ مع العلم بقدرة الله التامة على إيجاده، ولكنه لم يشأ إيجاده؛ فلم يكن موجودًا بسبب عدم مشيئته، لا بسبب عجزه.

- إِنْ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ ؛ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ

وأخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت! اللهم ارحمني إن شئت! ليعزم في الدعاء فإن الله صانع ما شاء لا مكره له».

وينبغي أن يعلم أن إرادة الله إرادتان: (١)

١- إرادة كونية (=مشيئة)

فهل يمكن أن يقال أن الله شاء للكافر الإيمان؛ فكفر الكافر رغم عنه سبحانه؟!!

- حديث ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

٢- إرادة شرعية (=محبة)

المرتبة الرابعة : خلق الله تعالى للأشياء وإيجادها

وقدرته الكاملة على ذلك فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه . قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١ وهذا التقسيم قد دل عليه الشرع وإجماع العقلاء، وما ضلت الأشاعرة والمعتزلة إلا لجهلهم بذلك.

ما هي أصول الإيمان بالقضاء والقدر (مع الشرح)

◀ الأصول العشرة في الإيمان بالقضاء والقدر:

١ - أن تؤمن بعلم الله عز وجل:

وأن علمه شامل محيط بما كان وما سيكون وما هو كائن وما لم يكن لو كان كيف يكون.

٢ - أن تؤمن بالكتابة:

بأن الله تبارك وتعالى كتب كل ذلك قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين الف سنة.

٣ - أن تؤمن بمشيئة الله عز وجل النافذة:

وأن أي شيء في هذا الكون لا يمكن أبداً أن يخرج عن مشيئته؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

٤ - الإيمان بأن الله خالق كل شيء:

فهو الذي خلق أعمال عباده؛ فإنه قد خلق فيهم القدرة والاستطاعة التي يقومون بها بأعمالهم؛ قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾؛ فالله تعالى خالق كل عامل وعمله. فمن زعم أن العباد يخلقون أعمالهم؛ فقد زعم خالقاً غير الله عز وجل؛ ما زعمت القدرية، وقد صح أن النبي ﷺ قال: «لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ وَمَجُوسُ أُمَّتِي [الْقَدَرِيَّةُ] الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ (١)» (١).

١ قال البيهقي في «سننه الكبرى» (٢٠٧/١٠): «إنما سماهم مجوساً؛ لمضاهاة بعض ما يذهبون إليه مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين؛ وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، وأن الشر من فعل الظلمة؛ فصاروا ثنوية. كذلك القدرية؛ يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى غيره؛ والله تعالى خالق الخير والشر، والأمران معا منضافان إليه خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتساباً» اهـ

٥- مشيئة الله عز وجل لا تنفي مشيئة الإنسان:

فالإنسان له مشيئة واختيار؛ لكن مشيئته واختياره لا تخرج أبداً عن مشيئة الله عز وجل، وهذا مما يقطع به العقلاء!؛ فالإنسان يفكر في الشيء ملياً قبل أن يفعله، ثم يتجه بعد التفكير -بل والتخطيط!- إلى تنفيذ ما يريد. فيسعى الإنسان مثلاً لتحصيل رزقه؛ فيدبر، ويخطط، ثم يقدم على ما خطط له؛ فإذا كسب؛ فقد وافق قدره المقدر له، وإذا خسر؛ فقد وافق قدره المقدر أيضاً له برغم تدبيره، وتخطيطه!. وما كان في مسألة الرزق هو هو سواء بسواء في مسألة الطاعة والمعصية؛ فإذا اختار الإنسان طريق المعصية؛ فقد اختار لنفسه ما قدره الله عليه، ومن اختار الطاعة؛ فقد اختار لنفسه ما قدره الله عليه.

٦- كل الإنسان مسؤول عن أعماله:

فكل عمل يعمل به الإنسان؛ فهو مسئول عنه؛ فهو غير مجبور على فعله؛ لأنه هو الذي اختاره بمحض إرادته ومشيئته؛ وهو لا يعلم ماذا قدر الله له، ولكنه عندما اختاره بمحض إرادته؛ فقد وافق حينئذٍ عمله مشيئة الله الكونية فيه. فالله هو الذي خلق له هذه القدرة والمشيئة على الفعل؛ فهو خالق عمله من هذه الجهة -وهي جهة الخلق والإيجاد، والفعل ينضاف إلى العبد من جهة الفعل والاكْتِسَاب، وهذا ما يحاسبه الله عليه. ولهذا لا تتم مشيئة العبد دون مشيئة الله. قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾. فإن أصبت الخير؛ فالله هو الذي وفقك إليه

١ أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وحسنه الألباني في «الظلال» (٣٢٨)، و«المشكاة» (١٠٧)، و«صحيح الجامع» (٤٤٤٢ - ٥١٦٣).

تفضلاً منه عليك، وإن أصبت الشر؛ فهو باختيارك، وقد وافق اختيارك مشيئة الله.

٧- الله أوجد الأسباب والمسببات:

فقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن كل شيء جعل له سبباً، وأما ما يقع بلا أسباب كخوارق العادات؛ فذلك إنما يكون لحكمة أرادها الله تبارك وتعالى كإثبات نبوة نبي، أو ولاية ولي أو لحكم غير ذلك أرادها الله تعالى. فهذه الأشياء لا تحرق القاعدة وإنما أجراها الله تبارك وتعالى في خلقه -خلافاً لسنة- ليريهم قدرته التامة على ما يشاء، وما لا يشاء أيضاً لكنه لم يشأه؛ فلم يفعله.

٨- الإيمان بالقدر لا يمنع من مباشرة الأسباب:

فإن الله ما خلق الأسباب إلا ليأخذ بها خلقه، ولم يخلقها الله ليعرض عنها العباد؛ فعلى كل أحد الأخذ بالأسباب للوصول إلى ما يطلب؛ فمثلاً: جعل الله تعالى الإيمان به سبباً لدخول الجنة؛ فإذا تخلف السبب؛ تخلف الموعود (١).

١ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «فتاواه» (٧٠ / ٨): «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً؛ نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية؛ قدح في الشرع. ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن... الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج؛ بل كم من أنزل ولم يولد له؛ بل لا بد من أن الله شاء خلقه؛ فتحبل المرأة، وتربيته في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط، وزوال الموانع. وكذلك أمر الآخرة؛ ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة؛ بل هي سبب؛ ولهذا قال النبي ﷺ «إنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل». وقد قال: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ فهذه بقاء السبب أي: بسبب أعمالكم والذي نفاه النبي ﷺ بقاء المقابلة؛ كما يقال: اشتريت هذا بهذا أي: ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته فبعفوه يحو السيئات وبرحمته يأتي بالخيرات وبفضله يضاعف البركات» اهـ. وانظر (٨ / ١٣٩، ١٧٥)

فالله تبارك وتعالى نفى عن نفسه الظلم لإثبات كمال عدله؛ فقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾؛ حتى أنه لو عذب أهل السماء والأرض؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأنه يتصرف في ملكه كما شاء. فعن عبد الله بن فيروز الديلمي قال: «لَقِيتُ أَبِي بَنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ يَا أَبَا الْمُنْذِرِ إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّهُ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي. قَالَ: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ لَهُمْ خَيْرًا مِنْ أَعْمَالِهِمْ﴾» أخرجه أحمد وصححه الألباني.

١٠- الله لا يسأل عما يفعل:

قال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، فهو المالك الذي لا يسأل عما يفعل في ملكه لعظمته وعزته، وكمال قدرته، لا يقدر أحد أن يمانعه أو يعارضه، لا بقول، ولا بفعل؛ فلا يتوجه إليه سؤال. فلو أنه عذب أهل سماواته وأرضه؛ عذبهم وهو غير ظالم لهم؛ لأنه يتصرف في ملكه كما شاء.



وآخر دعوانا

الحمد لله العاكفين